جامعة مؤتة

كلية الدراسات العليا

البينية البلاغية
في رسائل عبدالحميد الكاتب

إعداد الطالب

محمد صالح عطية السعود

إشراف

الأستاذ الدكتور أحمد صالح الزعبي

أطروحة مقدمة إلى كلية الدراسات العليا استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في الأدب والنقد/ قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة مؤتة، 2022

الآراء الواردة في الرسالة الجامعية لا
تعبر بالضرورة عن آراء جامعة مؤتة

MUTAH UNIVERSITY
College of Graduate Studies

جامعة مؤتــة
كلية الدراسات العليا

قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر اجازة الرسالة المقدمة من الطالب محمد صالح عطيه السعود

والموسومة بـ: البينية البلاغية في رسائل عبد الحميد الكاتب

استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراة في الدراسات الأدبية

التخصص: الدراسات الأدبية في تاريخ 2022/12/20

من الساعة 1 إلى الساعة 3 قرار رقم 2022

أعضاء اللجنــة:	التوقيــع	
أ.د احمد صالح عيسى الزعبي		مشرفا ومقررا
أ.د زهير احمد محمد المنصور		عضوا
أ.د شفيق محمد عبدالرحمن الرقب		عضوا
أ.د.ابراهيم منصور محمد الياسين		عضو خارجي

عميد كلية الدراسات العليا

أ.د مخلد سليمان الطراونة

جامعة مؤتة
كلية الدراسات العليا

الإهداء

إلى التي حملتني وَهْنًا على وَهْن، وأرستْ بي الجودي على شاطئ الأمان، إلى نبع الحنان، وجود العطاء، إلى التي تركت حياتها لترى الحياة فينا، إلى العطاء الدائم غير المنقطع، إلى المدرسة التي تعلمنا منها الصبر والصمود والعزم والعزيمة، إليك يا أمي أهدي هذا الجهد المتواضع.

﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارا شَقِيّا﴾

إلى الروح الطاهرة التي زرعت ولم تنتظر الحصاد، إلى نبراس الأمل وسبيل العطاء، إلى الذي حرمه الموت من أن يرى آماله ورؤياه بفلذات كبده قد تحقّقت، إلى الذي ما زالت روحه بيننا لم تغادرنا، فنجدد عهدنا بأن نكون له كما أراد لنا، إلى روحك الطاهرة يا أبي أهدي هذا الجهد المتواضع. رحمك الله يا والدي.

إلى كل من قدم يد العون والمساعدة لي.

الشكر والتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل إلى مشرفي الفاضل الأستاذ الدكتور أحمد صالح الزعبي، الذي تفضل بقبول الإشراف على هذه الأطروحة، فكان منهُ صبر الأُستاذ على طالبهِ، وتوجيه العالِم العارِف بحقّ لِما يقول ويفعل، فلم يبخل عَلَيَّ بالتوجيهات والنصائح القيمة، فكان واسع الصدر ميسّرا لكل عسير، فجزاه الله عنا خيرُ الجزاء.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة؛ لموافقتهم على قبول مناقشة هذه الأطروحة، ولما قدّموه من ملحوظات قيّمة ساهمت في إثرائها، وتصويب اعوجاجها.

فهرس المحتويات

الموضوع:	الرقم
الإهداء	أ
الشّكر والتّقدير	ب
فهرس المحتويات	ج
ملخص باللغة العربية	هـ
ملخص باللغة الإنجليزية	و
المقدمة	1
المدخل	5
أولا: علم البلاغة العربية	5
ثانيا: التعريف بعبد الحميد الكاتب	9
الفصل الأول(مصطلح البينية):	**12**
1.1 مفهوم البينية	12
1-البينية لغة :	12
2-البينية اصطلاحا:	13
2.1 الأساس البيني في التراث العربي القديم	17
3.1 البينية في الدراسات الحديثة	25
الفصل الثاني (البلاغة وعلوم اللغة العربية):	**27**
1.2 علاقة البلاغة بعلم النحو	28
1- الخبر الابتدائي	30
2- خبر المتردد	34
3- الإنشاء	38
2.2 علاقة البلاغة بعلم الصرف	48
3.2 علاقة البلاغة بعلم الأصوات	62
1-السجع	63
2-الجناس	70

الفصل الثالث(علاقة البلاغة بالعلوم الأخرى): **75**
1.3 علاقة البلاغة بعلم النفس 75
2.3 علاقة البلاغة بعلم الاجتماع 86
1-العلاقات الإنسانية 87
2-المظاهر الاجتماعية والعادات والتقاليد 91
3-الجوانب السياسية 94
الخاتمة 102
المصادر والمراجع 105

الملخص

البينية البلاغية في رسائل عبد الحميد الكاتب

محمد صالح عطية السعود

جامعة مؤتة، 2022م

تتناول هذه الدراسة الحديث عن ملامح البينية البلاغية في رسائل عبد الحميد الكاتب، وذلك للكشف عن تلك الملامح، وبيان دورها في تشكيل الخطاب البلاغي التراسلي عند عبد الحميد الكاتب، وما أثمر عنه ذلك الخطاب من مكونات دلالية متمازجة مع العلوم المتنوعة والمختلفة.

ولتحقيق هدف الدراسة انقسمت لثلاثة فصول سبقها مدخل تناولت فيه الحديث عن علم البلاغة العربية، والتعريف بعبد الحميد الكاتب، ثم تناول الفصل الأول الحديث عن مصطلح البينية قديماً وحديثاً، وتناول الفصل الثاني الحديث عن علاقة البلاغة العربية بعلوم اللغة نحواً وصرفاً وصوتاً، ثم تناول الفصل الثالث الحديث عن علاقة البلاغة بالعلوم الأخرى كعلم النفس وعلم الاجتماع.

الكلمات المفتاحية: البلاغة العربية/ البينية/ اللغة/ النحو/ الصرف/ علم النفس/ علم الاجتماع.

Abstract

Features of interdisciplinary rhetoric of the ancient Arab heritage

Muhammad Saleh Attia Al-Soud

Mutah University, 2022

This study discusses the features of rhetorical interstitialism in the letters of Abdul Hamid al-Kateb, in order to reveal these features and demonstrate their role in shaping the rhetorical discourse of Abdul Hamid al-Kateb, and the semantic components that resulted from that discourse mixed with various and different sciences.

In order to achieve the objective of the study, it was divided into three chapters, preceded by an introduction in which it dealt with the discussion of the science of Arabic rhetoric, and the definition of Abdul Hamid Al-Kateb. Talking about the relationship of rhetoric with other sciences such as psychology and sociology.

Keywords: literary criticism/ interdisciplinary rhetoric/ ancient Arab heritage / rhetoric

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل علينا القرآن، وزادنا به فصاحةً وبيانا، فبدأه باقرأ ليكون لنا أمانا، والصلاة والسلام على النبي الأمجد، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قد تأثرت العلوم في بداية نشأتها ببعضها، واستمدت بعض تفاصيلاها من العلوم الأخرى، فتكاملت المعارف وتعالقت في إنتاج النص، من خلال المعرفة الواسعة بأكثر من علم لمنتج النص، فمنذ البدايات دعا أكثر الأدباء إلى الإلمام بالمعارف المتنوعة ومن هؤلاء عبدالحميد الكاتب في رسالته للكُتّاب، وابن قتيبة في أدب الكاتب، وأبو بكر الصولي في أدب الكاتب، وغيرهم الكثير من الأدباء.

إن التأثر والتأثير بين العلوم وتفاعلها مع بعضها بعضا في قراءة النص بصورة متكاملة يعرف بالعلم الحديث ب" البينيّة "، فهي تمثل التفاعل بين العلوم المختلفة واندماجها وترابطها بتداخل تخصصاتها، فإن هذا التكامل والانسجام في قراءة النص يحقق الهدف والغاية من الفكرة التي يتناولها الموضوع، فكل علم من هذه العلوم المختلفة ينظر للنص من وجهته ومكانه، فتقوم البينية بالربط بين هذه العلوم لتحقيق الفائدة الدلالية والغاية من الخطاب.

فالبلاغة تمثل المكانة العليا بين العلوم كيف لا والقرآن نزل متحديا العرب في فصاحتهم وبلاغتهم، من هذا المنطلق اتجهت هذه الدراسة لتطبيق البينية على البلاغة ومدى تفاعل البلاغة وانسجامها مع العلوم الأخرى.

وجدت الإشارات البينية البلاغية عند بعض البلاغيين القدماء فنجد أن الجرجاني بدلائل الإعجاز قد بنى نظرية النظم عنده على أساس نحوي سليم، فجعل النحو أساسا للبلاغة ولم يقتصر على هذا الحد وإنما تحدث عن المعاني ودورها في إيصال الكلام وفصاحته، ومدى بلاغة الكلمة في موضعها، وإن نقلت لموضع آخر فلا تكون بليغة كما هو الأساس الذي وضعت له، فخرج بذلك من الجملة إلى ارتباط الجمل ببعضها لتشكل نصا فصيحا بليغا.

إن البحث عن هذا الجوهر الاندماجي بين المعارف ودراسته بصورة متكاملة يكشف الغطاء عن العنصر الجمالي والإبداعي في النص، من خلال ارتباط البلاغة

بحقول اللغة الأخرى كالنحو والصرف أو بالعلوم الأخرى كعلم الاجتماع أو علم النفس وغيرها من العلوم.

فهذه الاندماجية تتيح أمام الباحث أن لا يقتصر في دراسته على حد الجملة الواحدة وإنما يدرس النص بصورة كاملة .

أما عن سبب اختيار وتطبيق هذه الدراسة على رسائل عبدالحميد الكاتب؛ ذلك لأن رسائله امتازت بالبلاغة العالية والفصاحة، فهو يعد أساس الكتابة الفنية فقالوا بأن الكتابة بدئت بعبدالحميد، لما جاء به من أسلوب رصين تميز به عن بقية الكُتاب.

ففي الدراسة سيعمد الباحث إلى الرجوع إلى التراث العربي الجم للبحث فيه عن مدى معرفة علمائنا الأوائل لهذه الاندماجية بين العلوم ومدى تأثرها ببعضها ومدى إفادتها من بعضها، مركزا بذلك على البلاغة العربية وارتباطها بالعلوم الأخرى ومدى تأثر عبدالحميد بالعلوم والمعارف وارتباطاتها بالسياقات البلاغية برسائله ومدى أثرها في المخرجات البلاغية.

وتعد هذه الدراسة محاولة لاختبار وتطبيق البينية على النص النثري القديم، محددة في رسائل عبد الحميد الكاتب أنموذجا وحقلا للدراسة، مبينا فيها أهمية التقاء البلاغة العربية مع العلوم الأخرى وما ينتج عنه جمالية في النص وإبداع.

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تتناول جوانب الالتقاء بين علم البلاغة والعلوم الأخرى من خلال التعرف على هذه الجوانب وتطبيقها وعلاقتها في بيان علاقة التأثر والتأثير بين العلوم والمعارف لقراءة بصورة متكاملة.

وتهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

1- التعرف إلى البينية ووظيفتها .

2- بيان أهمية البينية من خلال تطبيقها وقراءتها للنص.

3- دراسة البينية من خلال التقاء البلاغة العربية مع العلوم الأخرى.

4- بيان أهمية البينية البلاغية ودورها في بيان جماليات النص وإبداعه .

5- إبراز دور البينية البلاغية في رسائل عبد الحميد الكاتب وبيان أهميتها للدرس البلاغي.

وتأتي هذه الدراسة لتحاول الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1- ما مفهوم البينية البلاغية ؟

2- ما طبيعة البينية في فن الرسائل؟ وفيما تتمثل آلياتها ؟

3- كيف تؤثر البينية البلاغية في الإقناع والتلقي؟

ولإجراء هذا البحث سأعتمد المنهج (الوصفي التحليلي) باعتبار أن هذا المنهج يتماشى مع البينية البلاغية وتطبيقاتها على الأدب النثري معتمدا في ذلك على (رسائل عبدالحميد الكاتب) وتحليلها ومناقشتها، انطلاقا مما قدمه الدارسون والمختصون في هذا المجال، وسيتم في ذلك بيان معرفة ما قدمه الدرس البلاغي العربي للبينية من خلال مفهومها لدى علمائنا القدامى، وما قدمته البينية الحديثة للدرس البلاغي.

الدراسات السابقة:

وقد تطرق بعض الدارسين إلى هذا الحقل المعرفي وكتبوا في بعض مواضيعه ومن ذلك الدراسة التي قدمها الباحث أحمد السلمي سلامة مسلم بعنوان (البينية في البلاغة العربية 2020) ، لنيل درجة ماجستير، في جامعة عين شمس، وفيها يبين الباحث علاقة البلاغة العربية بالعلوم الأخرى كالنحو والصرف وعلم الأصوات وكذلك العلاقات في الأساليب البلاغية ببعضها.

وكذلك قدم الباحث مجدي محمود رشاد عبدالوهاب دراسة بعنوان (البينية البديعية 2016)، وفي هذا البحث حاول الباحث الفصل بين علمي البلاغة والنحو وأبان علاقة التراكيب بالبلاغة وحاول الباحث أن يشير إلى نقد النحويين للبلاغة من خلال توسع البلاغيين في الصيغ التي حددها النحويون.

وله دراسة بعنوان (البينية النحوية 2015)، وفي هذا البحث هدف مجدي محمود رشاد إلى تبيان علاقة النحو بالبلاغة العربية مبرزا أهمية النحو العربي في علاقته الوطيدة بعلوم اللغة العربية .

وفيما يتميز دراستي عن الدراسات السابقة في كونها تتناول الجوانب البلاغية وارتباطها بالعلوم الأخرى، محددا إياها في رسائل عبدالحميد الكاتب على وجه الخصوص، لأن هذه الرسائل لم تطبق عليها الدراسات البينية البلاغية.

وكذلك تختص دراستي بدراسة علوم البلاغة الثلاثة وارتباطها مع العلوم الأخرى كالنحو والصرف والأصوات وعلم النفس وعلم الاجتماع، وأن هذه الدراسة ستبين

الجانب التركيبي والأسلوبي والدلالي من خلال ارتباط البلاغة العربية بالعلوم الأخرى ومدى علاقات التأثر والتأثير بين العلوم في النص الواحد.

وتهتم دراستي بالجانبين: النظري والتطبيقي، وذلك من خلال تطبيق البينية البلاغية وتوافقها مع العلوم الأخرى لدراسة رسائل عبدالحميد الكاتب.

وقد انقسمت هذه الدراسة إلى مدخل وثلاثة فصول، تناول المدخل الحديث عن علم البلاغة العربية، والتعريف بعبد الحميد الكاتب، في حين جاء الفصل الأول للحديث عن مصطلح البينية وجذوره عند النقاد العرب القدماء، والدرس البيني المعاصر، أما الفصل الثاني فيتحدث عن البلاغة وعلوم اللغة العربية نحواً وصرفاً ومعنى، أما الفصل الثالث فيتحدث عن علاقة البلاغة بالعلوم الأخرى كعلم النفس وعلم الاجتماع.

المدخل:

تأتي هذه الدراسة للحديث عن مظاهر البينيّة في البلاغة العربية، وتطبيق ذلك على مجموعة من النماذج النصية المأخوذة من رسائل عبد الحميد الكاتب، وهو أحد كُتاب العربية الكبار، الذين تحسب لهم البدايات الإبداعية، والقدرة على البيان والفصاحة وتقانة الصنعة، من هنا كان لا بد من النظر في عناصر هذه الرسائل من الجهة البلاغية، وفهم طبيعتها ومكوناتها، والوصول إلى غاياتها وجمالياتها الفنية عبر إبراز جانب البينيّة في مكونات هذه الرسائل الفنية التي وردت عن عبد الحميد الكاتب.

ولكن قبل الشروع في الحديث عن هذه المظاهر، وتلك الجماليات لا بد من تعريف موجز بالبلاغة العربية، والحديث عن أهم موضوعاتها وعلومها التي تتكون منها، والنشأة الأولية لعلم البلاغة.

أولاً: علم البلاغة العربية:

الثابت أن الأدب سابق للنقد، فَمُنذ العصر الجاهليّ تناثرت الفنون البلاغية في النصوص الأدبية، دون إغراق أو صنعة، ولم يكن النقاد آنذاك يملكون أدواتٍ علميةً ومعاييرَ يُقاس بها؛ لذا جاء نقدهم انطباعيًّا وجزئيًّا ومزاجيًّا بحسب خبرة الناقد وميوله ، من خلال إبداء بعض الملاحظات البلاغية البسيطة في ميدان الشعر وتذوقهم له بتمييز الألفاظ والمعاني وتبين ما يجري فيها من جودة الإفهام وبلاغة التعبير[1]، وقد مرت البلاغة قبل أن تصل إلى مستواها المعروف بعلومها الثلاثة بفترة طويلة كانت انطباعية، والثابت أن الأثر المعتزليّ وعلم الكلام واضح في نشأة علم البلاغة وتطوره في ما بعد، وشيوخ البلاغة كالسكاكي والجاحظ وغيرهم كانوا من المعتزلة أو تتلمذوا عليهم، حيث استقرّ علم البلاغة على يدي السكاكي(ت: 626هـ)،بكتابه (مفتاح العلوم)، فالعرب يعرفون الكلام البليغ، ويعون مظاهره، وأنماطه، وبالتالي لم تكن نشأة البلاغة واضحة كل الوضوح في هذا الجانب، ولقد بقيت الحال على ما هو عليه حتى

(1) ضيف، شوقي. البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، الطبعة التاسعة، ص 9.

نهاية القرن الثاني الهجري، وبداية القرن الثالث، حيث ظهرت معالم البلاغة العربية بصورة أوضح وأجلى[1].

ومن هنا فلم تكن علوم البلاغة واضحة المعالم والأقسام ضمن القرنين الأولين – تقريباً – بل إن المصطلح البلاغي ذاته لم يجد تحديداً واضحاً عند علماء البلاغة، فيذكر الجاحظ (ت: 255هـ) في كتابه البيان والتبيين عددا من تعريفات البلاغة ومنها: سؤال المفضل الضبي لأعرابي ما البلاغة؟ فقال: "الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل[2]"، ويذكر تعريف العتابي للبلاغة بقوله " كل من أفهمك حاجته من غير حسبة ولا استعانة فهو بليغ[3]"، ويورد الجاحظ كذلك تعريفا للبلاغة على لسان ابن المقفع (ت: 142هـ) عندما سئل ما البلاغة؟ قال: "البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة[4]"، ويذكر ابن رشيق القيرواني (ت: 456هـ) عدداً من تعريفات البلاغة، وذلك إذ يقول: "وسئل بعض البلغاء: ما البلاغة؟ فقال: قليل يفهم، وكثير لا يسأم. وقال آخر: البلاغة إجاعة اللفظ، وإشباع المعنى. وسئل ثالث فقال: معان كثيرة، في ألفاظ قليلة. وقيل لأحدهم ما البلاغة؟ فقال: إصابة المعنى وحسن الإيجاز. وسئل بعض الأعراب: من أبلغ الناس؟ فقال: أسهلهم لفظاً، وأحسنهم بديهةً.. وسأل الحجاج ابن القبعثري: ما أوجز الكلام؟ فقال: ألا تبطئ، ولا تخطئ، وكذلك قال صحار العبدي لمعاوية بن أبي سفيان. وقال خلف الأحمر: البلاغة كلمة تكشف عن البقية. وكتب جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي إلى عمرو بن مسعدة: إذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيراً، وإذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثار عياً"[5].

---

(1). انظر: القزويني، أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن (د.ت). الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت/ لبنان، الطبعة الثالثة، ج: 1، ص: 4.

(2) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(1998)، البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة السابعة،ج:1، ص 97.

(3) المصدر السابق، ص 113.

(4) المصدر السابق، ص115.

(5). القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق (1981م). العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت/ لبنان، الطبعة الخامسة، ج: 1، ص: 242.

إن هذه التعريفات الكثيرة والمتعددة للبلاغة تقودنا إلى القول بأن العرب لم يتفقوا على تعريف واحد للبلاغة أول نشأتها، ولم يقفوا عند حد واحد من حدود هذا المصطلح والمفهوم، بل نظروا إلى مفهوم البلاغة من خلال عدد من العناصر والمظاهر التي تفضي دون شك إلى وجهة نظر محددة ومعينة لعلم البلاغة.

ثم أخذت البلاغة طريقها للتطور والانفصال عن مظاهر النقد القديمة، وأخذت معالم هذا العلم تتضح، وذلك منذ القرن الثالث الهجري، ويعد الجاحظ أحد أبرز المتكلمين عن هذا العلم في كتابه "البيان والتبيين"، إذ تناول الحديث عن الخطابة، والحديث عن ما يلزم الخطيب، وتحدث عن البلاغة في الخطبة، وحاجة الناس إلى البيان، وغيرها من الأمور البلاغية التي تناولها الجاحظ في كتابه ذاك، و أورد فيه تعريب البلاغة عند الشعوب المختلفة الفارسية واليونانية والرومية والهندية[1]، وتعد صحيفة بشر بن المعتمر من أوليات الحديث عن علم البلاغة وما يتكون منه[(2)].

بعد ذلك تطورت البلاغة في علومها ومؤلفاتها، فظهرت بعض المؤلفات التي تتناول موضوعات البلاغة وتبرز أشكالها، من أمثال مجاز القرآن لأبي عبيدة (ت: 209هـ)، وما ألفه المبرد (ت: 285هـ) خاصة في كتاب الكامل في اللغة والأدب، ولقد أخذت البلاغة منحى متخصصاً على يدي ابن المعتز (ت: 296هـ) حين ألف كتاب البديع، وهو من أوائل الكتب والمصنفات التي تخصصت بعلم البلاغة، ثم أخذت المصنفات تتوالى في علوم البلاغة، وكان من أبرز المنجزات التصنيفية في علوم البلاغة ما كتبه عبد القاهر الجرجاني (ت: 471هـ) شيخ البلاغة، فقد ألّف كتابين في علوم البلاغة، الأول: أسرار البلاغة، وضمنه حديثاً عن التشبيهات والاستعارات المختلفة والمتنوعة، بمعنى أنه يتحدث عن علم البيان، والثاني: كتاب دلائل الإعجاز، وتحدث فيه عن علم المعاني ومظاهر البلاغة في القول من تقديم وتأخير وحذف وإنشاء وإخبار،

---

(1) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(1998)، البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة السابعة، ج:1،ص 88.

(2). الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(1998)، البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة السابعة،ج: 1، ص: 135.

وغيرها، وبالتالي فهو يتناول علم المعاني، وهكذا أخذت البلاغة تظهر بعلومها المختلفة[1].

ثم تمايزت علوم البلاغة وظهرت ضمن أبواب ثلاثة هي: علم المعاني، ويتناول الحديث عن الخبر والإنشاء، والإسناد الحقيقي والمجازي، وأحوال المسند والمسند إليه، القصر، والفصل والوصل، والإيجاز والإطناب، وما يتصل بهذه التعريفات من فروع مختلفة ومتنوعة، وعلم البيان، ويتناول الحديث عن التشبيه، والحقيقة والمجاز، والاستعارات بأشكالها، والكناية، والمجاز العقلي والمجاز اللغوي، وعلم البديع، ويتناول الحديث عن المحسنات المعنوية والمحسنات اللفظية[2].

وهكذا ظهرت علوم البلاغة العربية، وبرزت بكافة مكوناتها وجمالياتها، ومنحت الكلام العربي قوة إبداعية تأثيرية في المتلقي، وهو القصد الرئيس من البلاغة، والمغزى منها.

ولعلم البلاغة أهمية كبيرة في اللغة العربية، وهو ما أشار إليه العلماء منذ بدايات الدرس البلاغي، وبيّنوا المقصد والغاية من دراسة علم البلاغة، وفهم مكوناته وعناصره، إذ من خلال هذا العلم يفهم القرآن الكريم، ويتوصل الناظر فيه إلى مظاهر الإعجاز التي اشتمل عليها، كما يُعرف من خلال علم البلاغة دقائق العربية، وجمال تعبيراتها، وأسرار نصوصها وألفاظها، كما يعرف المرؤ من خلال علم البلاغة كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وما يحسن به قوله وما لا يحسن، وغير ذلك من الفوائد والأهمية التي يضطلع بها هذا العلم الجليل[3].

ومن هنا فإن علم البلاغة علم يتسع ليشمل علوماً كثيرة، فما الكلام عن الإسناد، وعن التقديم والتأخير، والحذف، وغيرها من علوم المعاني المختلفة إلا اتصالا بين علم البلاغة من جهة وعلوم اللغة الأخرى من جهة ثانية، وما الحديث عن التشبيهات وغاياتها، والمقصد من الاستعارات والكنايات إلا ربط لهذا العلم بعلم بالمتلقي الذي

---

(1). انظر: القزويني. الإيضاح في علوم البلاغة، ج: 1، ص: 5 – 7.

(2). انظر: قاسم، محمد أحمد، وديب، محيي الدين (2003م). علوم البلاغة: البديع والبيان والمعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس/ لبنان، الطبعة الأولى، ص: 50 – 51.

(3). انظر في ذلك: السبكي، أبو حامد أحمد بن علي (2003م). عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 1، ص: 46 – 47.

بدوره يبرز أهمية علم الاجتماع وعلم النفس في تفسير النصوص البلاغية ومدى التأثر التأثير بينهم، وقراءة النص بصورة أخرى، وهو ما جعل هذه الدراسة تشق طريقها إلى حيز الوجود، لتبحث في مظاهر البينيّة في البلاغة العربية، وتطبق ذلك على رسائل عبد الحميد الكاتب.

ثانياً: التعريف بعبد الحميد الكاتب:

تستهدف هذه الدراسة بجانبها التطبيقي رسائل عبدالحميد الكاتب وهو أحد الكتاب المشهورين في تراثنا الأدبي العربي العريق، وهو "عبد الحميد بن يحيى بن سعد مولى بني عامر بن لؤي بن غالب، الكاتب البليغ المشهور"[1].

وقد اختلفت المصادر التاريخية في أصله، وقد أشار إلى ذلك الدكتور إحسان عباس في كتابه (عبدالحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلاء 1988) فذهب بعضهم إلى القول بأن جده فارسي الأصل أو نبطي وقول الذهبي فيه بأنه أنباري الأصل[2]، وُلِد عبد الحميد الكاتب في مدينة الأنبار بالعراق، فكان يتنقل في البلدان، فسكن الرقة في الشام، ولقد بدأ عبد الحميد حياته العلمية بتعليم الصبيان، ثم برع في الكتابة وحسن الترسل[3].

تتلمذ عبد الحميد الكاتب على يدي مولى هشام بن عبد الملك وهو "سالم"، وأخذ عنه فن الكتابة[4]، وكان لهذه النشأة دور كبير في اقتراب عبدالحميد الكاتب من قصر الخلافة[5]، وتعد هذه النشأة نشأة إيجابية في تشكيل شخصية هذا الكاتب الفذ في العصر الأموي، وما امتازت به رسائله من جودة الصناعة، وحسن البلاغة، فقد تنقل

---

(1). ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد (1994م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 3، ص: 228.

(2) عباس، إحسان. عبدالحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلاء، دار الشروق، عمان/ الأردن، الطبعة الأولى، ص: 26.

(3). انظر: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (1417هـ). تاريخ بغداد وذيوله، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 21، ص: 115.

(4). الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين (1985م). سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 5، ص: 462.

(5) عباس، إحسان. عبدالحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلاء، دار الشروق، عمان/ الأردن، الطبعة الأولى، ص: 28.

في البلدان من العراق والشام حتى تمكن من الوصول إلى بغيته بأن صار كاتباً للخليفة الأموي مروان بن محمد.

وقد عُرِف عبد الحميد الكاتب بجودة الصناعة، وحسن الترسل، وبلاغة اللفظ، فقيل عنه: بدأت الكتابة بعبد الحميد، وانتهت بابن العميد، وقد كان عبد الحميد الكاتب كاتباً لبني أمية، وتحديداً لمروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين[1].

ولا يشك أحد في قدرة عبد الحميد الكاتب على الكتابة، وما امتاز به من البلاغة وحسن الترسل، فهذه المواصفات عرفت طريقها لشخصية هذا الكاتب المبدع، وتمكن من تطويع اللغة، واستهلاك جمالياتها حتى وصل الأمر به إلى هذه القدرة العالية على الكتابة الفنية، والإبداع الجمالي المتقن في هذا العصر.

أخذ عن عبد الحميد عدد من الكتاب الأفذاذ في العصر الأموي ومن جاء بعده من العصر العباسي، ومن أبرزهم خالد بن برمك، ويعقوب بن داود وهو وزير المهدي[2]، وأحمد بن يوسف بن القاسم أبو جعفر الكاتب[3].

وقد صحب عبد الحميد الكاتب الخليفة مروان بن محمد في جميع وقائعه التي شهدها خصوصاً في آخر أيامه، وصبر على الابتلاء والبلاء معه، حتى أنه بقي معه وقُتِل معه في مصر بقرية يقال لها "بوصير" من أعمال الفيوم بمصر، وكان ذلك عام 132هـ[4].

أما عن شخصية عبدالحميد الكاتب فيضرب المثل فيه بشيئين: الكتابة والوفاء، ومن ذلك ما تحدث فيه حين وصف ما يجب أن يتحلى به الكاتب بقوله:" أن يكون وفيا عند الشدائد، عالما بما يأتي ويذر، ويضع الأمور في مواضعها".[5] فهذه الإشارة

---

(1). انظر: الزركلي، خير الدين بن محمود(2002م). الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت/ لبنان، الطبعة الخامسة عشرة، ج: 3، ص: 289 – 290.

(2). الذهبي. سير أعلام النبلاء، ج: 5، ص: 463.

(3). ابن العديم، عمر بن أحمد (د.ت). بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق/ سوريا، الطبعة الأولى، ج: 3، ص: 1270.

(4). ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج: 3، ص: 229.

(5) عباس، إحسان. عبدالحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلاء، دار الشروق، عمان/ الأردن، الطبعة الأولى، ص: 50.

تسفر عن تطابق ما قاله عبدالحميد الكاتب وما حل به مع مروان بن محمد، فآثر الوفاء له دون أن يتركه وحيدا، فكان يؤثر الوفاء لكل شيء مقدما للنصيحة في جميع جوانب الحياة وخاصة في ميدان عمله، ومن ذلك ما كتب به للكتاب في رسالته المشهور (إلى الكتاب)[1]، لبيان مكانتهم، وما يجب عليهم أن يتحلوا به من الأخلاق الحميدة، والابتعاد عن المطامع ومساوئ الأمور، والمعرفة بأصناف العلوم وجمعها وتعلمها واتقانها.

فقد ترك عبدالحميد الكاتب أثرا أدبيا، تميز فيه عمن سبقوه في ميدان الرسائل، فهو أول من أطال الرسائل، واستعمل التحميدات في فصول الكتب، حتى قيل فيه:" فتحت الرسائل بعبدالحميد، وانتهت بابن العميد"[2]. فنجد أن رسائله تتنوع في ميدانها من رسائل للنصح والإرشاد والتوجيه والتحذير والوصف والمعاملة والتهنئة والتعزية وغيرها من الرسائل، فكان جامعا في رسائله صنوف العلم ودقائق الأمور، متميزا ببراعة الكتابة وجودة السبك عمن سبقوه وعاصروه.

(1) المصدر السابق، ص: 281

(2) ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج: 3، ص: 228.

الفصل الأول
مصطلح البينيّة

تسعى هذه الدراسة إلى توضيح مصطلح البينيّة وتطبيقها على رسائل عبد الحميد الكاتب، من خلال البينية في البلاغة العربية، وذلك ضمن علوم البلاغة، وبيان ما تتصل به هذه العلوم من عناصر البينيّة من خلال التقائها مع العلوم الأخرى، والتفاوت بين هذه الأصناف البلاغية المختلفة، ولكن لا بد من الإشارة إلى مفهوم البينيّة لغة واصطلاحاً، وبيان أهم ما جاء في تراثنا العربي من تداخل العلوم ببعضها.

1.1: مفهوم البينيّة:

وباعتبار أن البينيّة مصطلح حديث في الدراسات الأدبية والنقدية، فلا بد قبل كل شيء من تحديد هذا المصطلح، والأسس العامة التي يسير عليها، للوصول في نهاية المطاف إلى تحديد دقيق لمعناه وفقاً لطبيعة وروده عند النقاد.

1.1.1: البينيّة لغة:

يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي مبيّناً بعض المعاني التي ترتبط ب"بيَنَ": "والبَينونةُ: مصدر بانَ يَبينُ بَيْناً وبَينونةً، أي: قطع. والبَيْنُ: الفُرْقة، والاسم: البَينُ أيضاً. والبين: الوصل، قال عزّ من قائل: "لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُوْنَ"[1]، أي: وصلكم. و [يقال] : بانت يدُ النّاقةِ عن جَنْبها بينونة وبَيْنوناً. وقولك: بينا فلان ... معناه: بينما"[2].

وتذكر المعاجم العربية أن "بان" من الواوي واليائي بمعنى واحد، وهو الظهور والتبيّن، ومنه: البينات، أي: المبينات، ويقال: بان الصبح لذي عينين، أي ظهر، ومنه البين، أي البعد والافتراق، والبون: المسافة الفاصلة بين شيئين[3].

---

(1). سورة الأنعام، آية: 94.

(2). الفراهيدي، الخليل بن أحمد ت: 170هـ (د.ت). العين، مادة: بان.

(3). انظر: الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد ت: 370هـ (2001م). تهذيب اللغة، مادة: بوَنَ/ بيَنَ.

والبون أصل واحد يشير إلى معنى البعد، يقال: بينهما بون بعيد، أي مسافة فارقة وفاصلة[1]، وكذلك الحال بالنسبة للجذر اليائي، وما يؤيده قول ابن فارس نفسه: "الْبَاءُ وَالْيَاءُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ بُعْدُ الشَّيْءِ وَانْكِشَافُهُ. فَالْبَيْنُ الْفِرَاقُ ؛ يُقَالُ بَانَ يَبِينُ بَيْنًا وَبَيْنُونَةً. وَالْبَيُونُ الْبِئْرُ الْبَعِيدَةُ الْقَعْرِ. وَالْبِينُ: قِطْعَةٌ مِنَ الْأَرْضِ قَدْرُ مَدِّ الْبَصَرِ"[2].

ويقول ابن منظور (ت: 711هـ) في معنى الجذرين: "البَوْنُ والبُونُ: مسافةُ مَا بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ... البَيْنُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ جَاءَ عَلَى وجْهَين: يَكُونُ البَينُ الفُرْقةَ، وَيَكُونُ الوَصْلَ، بانَ يَبِينُ بَيْناً وبَيْنُونةً، وَهُوَ مِنَ الأَضداد"[3].

ومن خلال المعنى اللغوي للجذر الذي اشتُقَّت منه البينيّة نجد أنّ من معانيها المسافة الفاصلة بين شيئين، أو الفرق بين شيئين، وهو ما تسعى البينيّة لاستلهامه عبر توضيح تلك الفواصل العلمية بين العلوم، واختصار ما بينها من فروقات للوصول إلى ربط دقيق بين تلك العلوم، وفهم طبيعة كل منها، وما يؤثر به كل علم في العلم الآخر، ومن جهة الدراسة الحالية ما تؤثره العلوم الأخرى في البلاغة العربية، وما تفضي إليه من امتزاجات من شأنها أن تفضي لجمال جوهري في تشكيل العبارة الأدبية.

ولم تذكر المعاجم اللغوية السابقة شيئاً عن المعنى الحديث للبينيّة؛ وذلك لأنه هذا المصطلح وافد وجديد على الدرس النقدي العربي، من هنا فلا يرد هذا المصطلح البتة في معاجم اللغة بالمعنى المعاصر.

2.1.1: البينيّة اصطلاحاً:

يمكن الوصول لمفهوم البينيّة بوصفها مصطلحاً نقدياً انطلاقاً من تلك التوضيحات والتعريفات التي ذكرها الدارسون في سبيل إفهام المتلقي هذا المصطلح الجديد، وتوضيح مكوناته الدرسية تبعاً لما يشير إليه. فهو يشير إلى التفاعل بين العلوم المختلفة، التي تقوم "على التفاعل والتداخل بين التخصصات، أو تميز البحث فيها

---

(1). انظر: ابن فارس، أبو الحسين أحمد ت: 395هـ (1979م). مقاييس اللغة،مادة: بَوَنَ.

(2). المصدر السابق، مادة: بَيَنَ.

(3). ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (1414هـ). لسان العرب، مادة: بَوَنَ، وبَيَنَ.

بدرجات من الانفتاح على التخصصات المجاورة، والتفاعل مع أطروحاتها، وإشكالياتها، ومناهجها"[1].

وبالتالي فإنّ الفكرة الأساسية التي تُبنى عليها البينيّة تتمثل بالتفاعل والتمازج بين التخصصات المختلفة، واندماج تلك التخصصات فيما بينها في سبيل الوصول إلى الفائدة المرجوة، والهدف المقصود.

"تعرف البينيّة باعتبارها عملية تقوم على الجمع بين الكفاءات أو أفكار آتية من ميادين علمية أو فكرية مختلفة، لتحقيق هدف مشترك، وذلك بالتوصل بمقاربات مختلفة لمواجهة مسألة بذاتها، أو مشكل بذاته"[2].

ويعرف ووليم الدراسات البينية:" بأنها دراسات تعتمد على حقلين أو أكثر من حقول المعرفة الرائدة، أو العملية التي يتم بموجبها الإجابة على بعض الأسئلة أو حل بعض المشاكل أو معالجة موضوع واسع جدا أو معقد جدا يصعب االتعامل معه بشكل كاف عن طريق نظام أو تخصص واحد"[3].

فتعتبر البينية مجال بحثي يفضي عن طريق تطبيقها إلى تطور المجال العلمي والبحثي فيعرفها ميتو نيساني بقوله:" بأن البينية عملية تفاعل وتبادل للمعارف بين التخصصات المختلفة، وهو تبادل قد يفضي إلى أن تتكامل التخصصات المتداخلة فتكون تخصصا جديدا، والبينية هي تضايف يحدث بين مكونين أو أكثر يكون كل مكون منهما منتميا إلى علم من العلوم أو تخصص من التخصصات"[4].

إن تداخل التخصصات يفضي إلى الرؤية التكاملية للنص من جميع جوانبه، فيفسر عللها من خلال المعارف الأخرى، بتداخل حقلين معرفيين، " فيعرف ويليام نويل،

---

(1). بنخود، نور الدين (د.ت). دليل الدراسات البينيّة العربية في اللغة والأدب والإنسانيات، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مركز دراسات اللغة العربية ودراساتها، ص: 2.

(2). حسن، كاظم جهاد (2013م). في البينيّة نشأتها ودلالتها، مجلة جامعة الملك سعود، المجلد: 25، العدد: 2، ص: 241.

(3) مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، الدراسات البينية، جامعة الأميرة نور بنت عبدالرحمن،(2017)،ص:6.

(4) مكاكي، محمد، الدراسات البينية: المفهوم والأصول المعرفية(2021)، مجلة جسور المعرفة، المجلد السابع، العدد الخامس، ص: 273.

وجولي كلاين البينية بأنها: دراسة مرجعها حقلان معرفيان أو أكثر، وهي دراسة تجيب عن أسئلة وعن مشاكل يعسر على النظام الواحد حلها[1]".

وتنظر البينيّة إلى الخطاب الأدبي على أنه نص متكامل، منسجم مع بعضه، يأخذ روح التناغم، وهو ما يُقصد به البينيّة ذاتها في بعض الأحيان، "فأهم ما يشد انتباه القارئ خلال البحث عن البينيّة، أو الترابط أو التشابه للمستويات اللغوية: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، أمر بإمكاننا أن نطلق عليه: الانسجام أو التناغم أو التواصل أو التشابه اللغوي الذي يسري في شرايين اللغة العربية، وله وجوده الفعلي نطقاً وتقنيناً، فالتشابه اللغوي موضوع تجسد في الواقع العملي للغة العربية، نطقاً واستخداماً، فقد ظهر في السلوك اللغوي للناطقين بالعربية، إضافة إلى ظهوره من خلال الآراء المتناثرة في قواعد أهل علوم اللغة العربية"[(2)].

وتأتي البينيّة لبحث التواصل بين العلوم المتنوعة، وصولاً إلى المقصود منها، وبيان كل أثر لبعض هذه العلوم ببعضها الآخر، "فالبينيّة أو التواصل للتكامل بين العلوم فكرة اهتمت بها الدراسات عامة، ودراسات العربية خاصة، حيث إن هناك ميادين بحثية تفرض بطبيعتها على أصحابها الانفتاح على تخصصات أخرى، والبحث عن إيجاد تكامل أو تبادل معرفي معها، فمثلاً هناك أبحاث جمة بحثت وتحدثت عن صلة العلوم اللغوية بالشرع الإسلامي (القرآن والحديث والفقه)، وبعلم النفس والاجتماع والفلسفة"[(3)].

ويوحي بعض الباحثين بفكرة التباين بين الأفكار المختلفة، ويدخلونها في إطار البينيّة ذاتها، فقد أشار أحد الباحثين إلى هذه الطريقة في تباين المعاني بين الاستثناء المتصل والمنفصل، وذلك بقوله: "والبينيّة التي أريد هي التي أشار إليها الزمخشري – عند حديثه عن تفسير قوله تعالى: " **قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (58) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (59) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ**"[(4)] – بقوله: فإن

---

(1) المرجع السابق، ص: 274.

(2). رشاد، مجدي محمود (2016م). البينيّة النحوية العقائدية في القرآن، مجلة الدراسات الشرقية، جمعية خرجي أقسام اللغات الشرقية في الجامعات المصرية، القاهرة/ مصر، ص: 102.

(3). عبد الوهاب، مجدي محمود رشاد (2016م). البينيّة البديعية، رابطة الأدب الحديث، ص: 411.

(4). سورة الحجر، الآيات: 58 – 60.

قلت فهل يختلف المعنى باختلاف الاستثناءين، يعني القطع والوصل، قلت نعم، وذلك أن آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الإرسال، وعلى أنهم أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصة، ولم يرسلوا إلى آل لوط أصلاً"[1].

إن الكلام السابق للباحث محمد العمري ينظر فيه للبينيّة من خلاف فكرة التباين والاختلاف، فهو يحدد البينية عنده بحديث الزمخشري عن الاستثناء، الذي يبحث فيه عن المعنى دون تداخل المعارف، فالاستثناء المتصل يختلف في معناه عن الاستثناء المنفصل، وكذلك الحال بالنسبة لما سواه من مظاهر الدلالة المختلفة والمتنوعة، فهي أيضاً مختلفة ومتباينة، وهو ما لا يتصل اتصالاً مباشراً بالمعنى المقصود للبينيّة في الدراسات النقدية الحديثة.

ويمكن أن تعدّ البينيّة مرحلة ثالثة في تطور العلوم وانتقالها من بوتقة لأخرى، فقد كانت المرحلة الأولى تتمثل بالتأليف الموسوعي، وهي مرحلة مرت بها الحقب التاريخية في تراثنا العربي القديم، فقد سعى الباحثون والنقاد والمؤلفون في مراحل التأليف المختلفة إلى إيجاد موسوعات أدبية، تضم شتى العلوم، ثم جاءت المرحلة الثانية، وهي مرحلة التخصصية، وفي هذه المرحلة أخذت العلوم تؤلف ضمن تخصصات متغايرة، وثمة حدود فاصلة بين كل علم من هذه العلوم، ولا دخل لهذا العلم بذاك، ويمكن أن تعد البينيّة مرحلة ثالثة وُجِدت في نمو العلوم الإنسانية المختلفة، إذ هي تبحث في كيفية تأثير العلوم ببعضها، ولا تناقشها بطريقة موسوعية كما كان الحال قديماً، ولا بطريقة تخصصية كما آل إليه الأمر من قبل[2].

ولم تقف البينيّة عند مصطلح واحد، بل تعددت مصطلحاتها انطلاقاً من طبيعة الترجمة التي تعرض لها هذا المصطلح، فمن الباحثين من ترجمه إلى (البينيّة)، ومنهم من ترجمه إلى (البين ميدانية)، وإلى (العبر ميدانية)، وإلى (تعددية الميادين)، وكلها مصطلحات نشأت بفعل اختلاف الترجمة لهذا المصطلح، وتنوع مشارب النقاد الذين

---

(1). العمري، محمد بن حسن بن سعيد (2013م). البينيّة في الاستثناء قطعاً ووصلاً وأثرها في التأويل، مجلة الدراسات اللغوية، المجلد: 15، العدد: 4، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ص: 8.

(2). انظر: بنخود. دليل الدراسات البينيّة العربية في اللغة والأدب والإنسانيات، ص: 5.

تناولوه وبحثوا فيه[1]، فجميع هذه المصطلحات تفضي إلى رؤية واحد إن تعددت، فهي تشمل في جوهرها العلاقات التشاركية بين العلوم والمعارف المختلفة.

ومن هنا يمكن القول بأن التعريف الاصطلاحي للبينيّة في الدراسات النقدية يتمثل بذلك العلم الذي يبحث في تداخل العلوم المختلفة مع بعضها، وتأثير بعضها في بعض، وتكامل تلك العلوم وانسجامها معاً لتحقيق الهدف والغاية من الفكرة التي يتناولها الموضوع، وكل علم يضطلع بموقعه ومكانه من الموضوع، وبدوره في تحقيق الفائدة الدلالية، والغاية المعنوية من هذا الخطاب.

2.1: الأساس البيني في التراث العربي القديم:

لم يعرف النقاد العرب القدماء مصطلح البينيّة كما يعرفه نقاد هذا العصر؛ لأن مصطلح البينيّة مصطلح معاصر يُطلق على تقصير المسافات بين العلوم المختلفة، وجعل التباين بين العلوم المختلفة مختصراً مختزلاً بحيث تتأثر العلوم ببعضها، وتتداخل الفنون، وهو ما لم يُناقش ضمن مسألة منفصلة عند نقادنا القدماء، إلا أن ذلك لا يعني أن النقاد العرب القدماء لم يتوقفوا عند بعض الجزئيات التي ربطوا فيها العلوم ببعضها، وأدخلوا العلوم المتباينة في أطر المعرفة المتماسكة، وهو ما يوحي بجوهر هذه البينيّة الحديثة، ولا بد في هذه الدراسة من الإشارة لبعض الملحوظات التي ذكرها النقاد القدماء والبلاغيون في سبيل تداخل العلوم، وتقصير المسافات بينها.

لقد بدأت الملحوظات منذ بواكير النقد الأدبي، وبواكير البلاغة العربية، فلما هجا الحطيئة الزبرقان بن بدر بقوله[(2)]:

دعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغيتِها واقعُدْ فإنَّك أنتَ الطاعمُ الكاسي

---

(1). انظر: حسن. في البينيّة نشأتها ودلالاتها، ص: 241.

(2). الحطيئة، أبو مليكه جرول (د.ت). ديوان الحطيئة، بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني، تحقيق: نعمان أمين طه، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة . مصر، الطبعة الأولى، ص: 284.

فلما سمع الزبرقان هذا البيت اشتكى الحطيئة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فذكر عمر أنه لا يرى في البيت بأساً، فاستدعى حسانَ وذكر له البيت، فقال: "لم يهجُهُ ولكن سلح عليه"، قاصداً أنه لشدة هجائه كأنه بال عليه[1].

فالمعنى الذي أراده الحطيئة واستطاع حسان فهمه هو: اقعد فإنك المطعوم المكسوّ، وهذا يعني أنه عالة على من حوله، لا يعينهم، وإنما هو عبء عليهم[2].

ولو دققنا النظر في هذه الملحوظة التي أشار بها حسان بن ثابت حول بيت الحطيئة لوجدناها مرتبطة بعلم الاجتماع، وبالمجتمع من حوله، فنظرة حسان لم تكن نظرة لغوية بحتة، قائمة على المعنى المباشر للمفردات والكلمات، وإنما توغّل في فهمه حتى رأى المقصود من هذه العبارة، وأنه أراد بها نمطاً من الهجاء غير المعتاد عند العرب، يفهمه الناس المتمعنون في المجتمع من حولهم، فإنها سُبّة على الإنسان أن يقعد مطعوماً مكسواً عالة على غيره من الناس، وهو ما تقصده البينيّة في عصرنا الحاضر، تقصد النظر في هذا كله.

ونجد الجاحظ (ت: 255هـ) يذكر عدداً من المواصفات التي يحسن الأخذ بها عند رواية الأشعار، وما يتميز به هذا الشعر عن ذاك، حتى ليسهل على ناقليه روايته، يقول: "ورأيتَ عامتَهم، فقد طالَتْ مُشاهَدتي لَهُم وهُم لا يَقفونَ إلاَّ على الألفاظِ المتخيَّرةِ، والمعاني المنتخَبة، والمخَارِجِ السهلةِ، والديباجةِ الكريمةِ، وعلى الطبعِ المتمكِّن، وعلى السَّبْك الجيِّد، وعلى كلِّ كلامٍ له ماء ورونق"[3].

اشتمل النص السابق للجاحظ على مجموعة من الإشارات للفنون المختلفة التي تدخل في اختيار الأشعار، وكيفية التعامل مع هذا الاختيار، إن قوله: الألفاظ المتخيرة، يقصد بها علم الدلالة بمعانيه الدقيقة الجميلة، واشتقاق الألفاظ من أصولها، وحديثه عن: المخارج السهلة، إدخال لعلم الأصوات في اختيار الأشعار البليغة الحسنة، فحسن المخرج للحروف يجعلها أكثر بلاغة، وهو ما يرتبط بعلم الأصوات،

---

(1). انظر: ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد (1404هـ). العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 2، ص: 335.

(2). قاسم وديب. علوم البلاغة، ص: 238.

(3). الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (1423هـ). البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار ومكتبة الهلال، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، ج: 3، ص: 259.

وحديثه عن السبك الجيد، يحمل إشارة للتراكيب الإسنادية الحسنة، وهو علم النحو، وحديثه عن: الكلام الذي له ماء ورونق، إشارة اجتماعية لما تستحسنه الذائقة العامة في المجتمع، مما يمنحهم هذا الارتباط ببلاغة الأشعار، وبالتالي فقد ربط الجاحظ بين هذه العلوم المختلفة والمتباينة في اختيار الأشعار التي تستحق الرواية من قبل الرواة، ومعرفة ما فيها من مظاهر الجمال والتداخل في علوم اللغة المتنوعة.

ويورد الجاحظ نصاً تطبيقياً على ما يستحسن من الأشعار ويوصف بالبلاغة، وذلك ما جاء في شعر للحطيئة[1]:

متَى تَأَتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نارِهِ تَجدْ خيرَ نارٍ عندَها خيرُ مَوْقِدِ

"وما كانَ ينبغي أن يُمدَح بهذا البيتِ إلاَّ مَنْ هُوَ خيرُ أهلِ الأرضِ، على أَني لم أُعْجَب بمعناه أكثرَ من عَجَبي بلفظهِ، وطَبْعه، ونَحْته، وسَبْكه، فيَفْهَمُ منه شيئاً أو يقفُ للطابَع والنظامِ والنحْتِ والسَّبْكِ والمَخَارجِ السَّهْلةِ، على معنى، أو يَحْلى منه بشيءٍ، وكَيْفَ بأنْ يَعْرفه؟ ولربَّما خفيَ على كثيرٍ من أَهْله"[2].

فهذا مثال عملي من الجاحظ يُظهر فيه تباين تلك العلوم في اختيار الألفاظ، وحسن الأشعار التي ينقلها الراوي، وما تمتاز به هذه الأشعار من اشتمال على كل هذا الجمال، ولولا المعرفة بالعلوم المختلفة لما استحسن الجاحظ مثل هذا البيت، ولما أتى به مثالاً على البيت البليغ المشتمل على كل هذه العناصر الجمالية الإبداعية.

يتناول ابن قتيبة (ت:276هـ) في حديثه عن بناء القصيدة العربية الحديث عن التشبيب والغزل في مقدمات القصائد، وما لها من دور في التأثير في نفس المتلقي، فإن الشاعر بعد أن يأتي بذكر مقدمة القصيدة، والوقوف بالأطلال، وصل ذلك "بالنسيب، فشكا شدة الوجد وألم الفراق، وفرط الصبابة والشوق، ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي إصغاء الأسماع إليه، لأن التشبيب قريب من النفوس، لائط بالقلوب، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء"[3].

---

(1). الحطيئة. ديوان الحطيئة، ص: 51.

(2). الجاحظ. البيان والتبيين، ج: 2، ص: 21.

(3). ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (1423هـ). الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة/ مصر، ج: 1، ص: 76.

إن في كلام ابن قتيبة السابق إشارة إلى الحالة النفسية التي تسيطر على المتلقي والناقد الانطباعي حينما يتلقى القصيدة من الشاعر، إنها حالة نفسية تحتاج من الشاعر أن يتحكم بها، وأن يدعم قصيدته ببعض التشكيلات اللغوية البلاغية التي تخاطب نفس المتلقي، ما يدفعه إلى الإصغاء لما يرد في هذه القصيدة، والتأثر بما فيها، فكلام ابن قتيبة السابق عن الحالة النفسية التي يكون عليها المتلقي حينما يتلقى القصيدة من شأنه أن يدخل في باب البينيّة، وما يتداخل مع علم النفس، فإن الحديث عن شيء يحبه الإنسان، ويطمح إليه، يريح النفس، وهو ما يبعث البلاغي أو الناقد على النظر الدقيق في مظاهر هذا الخطاب الشعري، وما ينطوي عليه من إشارات لفكرة نفسية متضمنة في هذا النص.

لم يقف ابن قتيبة عند الحالة النفسية التي تؤثر على المتلقي عند تلقيه خطابا ما وإنما تحدث عن أحوال المتلقي ومكانته فقال: " أن ينزّل ألفاظه في كتبه فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه، وأن لا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس وضيع الكلام[1]"

إن الإشارة في كلام ابن قتيبة يجمع أصناف العلوم في طياته، فأساسه في السبك الجيد الموافق لقواعد النحو، فلم يكتف بها القدر فحسب، وإنما وافق فيه بين الخطاب والمخاطب وجعل الخطاب من منزلة المخاطب على اختلاف أصنافهم ودرجاتهم، وهذا جزء من الجانب الاجتماعي الذي تتفاوت فيه طبقات المجتمع وأحوالهم، وهذه الرؤية في خطاب ابن قتيبة وافقة تعريف البلاغة بقولهم (مطابقة الكلام لمقتضى الحال)، فهي تجمع السبك الجيد والبلاغة وعلم الاجتماع.

ولم يكتف ابن قتيبة بحديثه عن توجيه الخطاب وإنما تحدث كذلك عن واقع الإعراب واستعمال الحوشي الغريب فقال:" أن يعدل بكلامه عن الجهة التي تلزمه مستثقل الإعراب؛ ليسلم من اللحن وقباحة التقعير[2]".

وفي موضع آخر يقول:" وليس حكم الكتاب في هذا الباب حكم الإعراب؛ لأن الإعراب لا يقبح منه شيء في الكتاب ولا يثقل، وإنما يكره فيه الوحشي الغريب، وتعقيد الكلام[3]" إن استعمال الألفاظ الحوشية الغريبة لها وقع في النفس عند سماعها لما لها

---

(1)- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب، شرحه: الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ص: 19

(2) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب، شرحه: الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ص: 18.

(3) المرجع السابق، ص: 19

من أثر بالغ على المخاطب واستقباله للخطاب فهي منفرة وثقيلة على الأسماع، لأن الألفاظ أجراس وأصوات، وكما هو الحال في تعقيد الكلام، فالألفاظ البليغة تأثر في النفس وتستميل الأسماع والأذهان إليها، فقد جمع ابن قتيبة بين علوم اللغة والنحو وبين الألفاظ البليغة البديعة، وما هذه إلا جزء من عناصر البينية البلاغية وتداخل المعارف مع بعضها.

ويذكر قدامة بن جعفر (ت: 337هـ) عيوب اللفظ لما للفظ من تأثير ووقع في السمع والنفس، وجاء من ذلك الحفاظ على قواعد النحو، أو أن لا يكون اللفظ حوشياً ثقيلاً على السمع؛ إذ يقول: " أن يكون ملحوناً وجارياً على غير سبيل الإعراب واللغة، وقد تقدم من استقصى هذا الفن، وهم واضعو صناعة النحو، وأن يركب الشاعر منه ما ليس بمستعمل إلا في الفرط، ولا يتكلم به إلا شاذاً، وذلك هو الوحشي الذي مدح عمر بن الخطاب زهيراً بمجانبته له وتنكبه إياه، فقال: كان لا يتبع حوشي الكلام"[1].

فهذا لا ريب تداخل للعلوم، وإفادة من علوم اللغة والنحو في اختيار الألفاظ البليغة المؤثرة من الألفاظ غير البليغة التي قد تكون جافية على الأسماع، ومن هنا فقد كانت هذه الإشارة من قدامة بن جعفر تمثل عنصرا من عناصر البينيّة في البلاغة العربية.

ومما شاع في أدبنا العربي قديماً أن الأدباء كانوا يرون أنه من الواجب على الأديب أن يأخذ من كل فن بطرف، فلا يكتفي بفن من الفنون، وبمعرفة محددة، بل عليه أن ينوّع ثقافته، ويوظفها في أدبه[2].

فهذه الفكرة التي ذاعت بين أوساط الأدباء والمثقفين في عصور العربية السابقة دليل على أنهم يحتاجون إلى تلك العلوم والفنون المختلفة في نظرتهم للنص، وأن الناقد الأديب بحاجة لهذه الفنون حتى يتمكن من وضع يده على الخلل وفهم ما جرت به مقادير الكلام، ليصل في نهاية المطاف إلى نقد صحيح وسليم لما بين يديه من خطاب، وهو ما يؤكد فكرة تداخل تلك العلوم، وتشابكها، مما يحتاج إليه الكاتب والناقد والأديب.

---

(1). ابن جعفر، قدامة (1302هـ). نقد الشعر، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، الطبعة الأولى، ص: 65.

(2). انظر: ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد (د.ت). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة/ مصر، الطبعة الأولى، ج: 1، ص: 4.

أما الناقد الذي برزت لديه البينيّة بصورة جلية واضحة، فهو عبد القاهر الجرجاني في نظريته – نظرية النظم – التي تشير إلى ضرورة تداخل الألفاظ والمعاني والدلالات حتى ليكون الخطاب نسيجاً واحداً، لا يمكن استبدال كلمة مكان أخرى، فربما كانت كلمة نابية في نص، مستحسنة في نص آخر، وما هذا إلا مظهر من مظاهر النظم البديع، وهذا كله عند الجرجاني مبني على النحو والتركيب، فمعرفة النحو، ودلالات الألفاظ، واشتقاقاتها هو المفضي إلى حسن الصنعة، وإبداع الكلام، الذي سماه الجرجاني بالنظم.

ويعبر الجرجاني عن هذه النظرية وأفضلية اللفظ من خلال ربطه بسياق ما جاوره من الألفاظ، والتحامه بما حوله من المفردات، يقول: "وهل تَجد أحداً يقولُ: "هذه اللفظةُ فصيحةٌ"، إلاَّ وهو يعتبرُ مكانَها منَ النظم، وحسنَ مُلاءمةِ معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لخواتها؟ وهل قالوا: "لفظةٌ متمكَّنةٌ، ومقبولةٌ"، وفي خلافهِ: "قلقة، ونابية، ومستكرهة"، إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسنِ الاتفاقِ بينَ هذه وتلك مِن جهةِ معناهُما، وبالقَلَقِ والنُّبوّ عن سوء التَلاؤم، وأنَّ الأولى لم تَلِقْ بالثانية في مَعناها، وأن السابقَةَ لم تصلُحْ أن تكونَ لِفْقاً للتالية في مؤادها"[1].

إن كلام الجرجاني السابق عن نظرية النظم يمنح المتلقي فهماً دقيقاً لما يتوجب عليه النظر فيه عند تلقيه للخطاب الأدبي، إن عليه أن يبحث في تلاؤم الألفاظ، واتفاق المعاني، وحسن الإسناد، وما يجاور كل كلمة من مفردات أخرى تسهم في بيان معناها، وما هذا إلا ربط بعلم النحو بداية، وعلم الدلالة تالياً، وذلك أن المتلقي كي يعي مكانة اللفظة فعليه أن يعي موضعها الإعرابي، وإن حسن الكلام يكون بحسن السبك، وجودة الإسناد، ووضع الألفاظ موضعها من الخبر والإخبار، وهذا كله من علم النحو، وإن انضمام الدلالات المختلفة للمفردات وتجمعها معاً في تشكيل الخطاب برمته من شأنه أن يكون ربطاً لهذه الدلالات ضمن علم الدلالة، وهذا ما تسعى البينيّة لتوضيحه، وذلك عبر تضافر العلوم المختلفة، وتداخلها للوصول إلى الغاية المعنية من الخطاب، وفهم هذا الخطاب فهماً سليماً دقيقاً.

---

(1). الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (1992م). دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة المدني، القاهرة . مصر، ودار المدني، جدة . السعودية، الطبعة الثالثة،ص: 44 . 45.

ويسعى الجرجاني من خلال نصوصه الكثيرة إلى الربط بين علم النحو ونحو الجملة بعلم البلاغة، فيما اصطلح عليه البلاغيون فيما بعد بعلم المعاني، يقول الجرجاني موضحاً هذا الأساس في نظريته: "ليس "النظمُ" شيئاً إلاَّ توخِّي معاني النحو وأحكامِه ووجوهِه وفروقه فيما بَيْنَ معاني الكلم، وأنك قد تبيَّنت أنه إذا رُفعَ معاني النَّحو وأحكامُه مما بينَ الكَلم حتى لا تُرادَ فيها في جملةٍ ولا تفصيلٍ، خرجت الكلم المنطوقُ ببعضِها في أثرِ بعضٍ في البيتِ من الشعرِ والفصلِ من النَثْر، عن أنْ يكونَ لكونِها في مواضِعِها التي وُضِعَتْ فيها مُوجبٌ ومُقتضٍ، وعنْ أن يُتصوَّر أن يقالَ في كلمة منها إنها مرتبطةٌ بصاحبةٍ لها، ومتعلِّقةٍ بها، وكائنةٌ بسببٍ منها"[1].

يصرح الجرجاني في نصه السابق بعبارة واضحة أن النظم لا بد له من علم النحو، ولا بد من معرفة المعاني المختلفة للتراكيب النحوية، إذ من خلال هذه المعرفة يمكن فهم طبيعة هذا النظم، ويمكن الوصول إلى تحقيق هذه النظرية وتنمية أفكارها بما يناسب واقع البلاغة، فلا شك أن البلاغة تحتاج إلى النحو، وهو ما أوضحه الجرجاني بكل جلاء في حديثه عن نظرية النظم، وما هذا إلا مظهر واضح المعالم لفكرة البينيّة، وتداخل العلوم المختلفة، وتضافرها من أجل تحقيق الفائدة الكبرى من النص الأدبي، والخطاب الفني، فكل علم من هذه العلوم المتباينة والمتداخلة تصل بالمتلقي إلى فائدة بعينها ضمن إطار هذا الخطاب البلاغي، وبالتالي فإن التحام هذه العلوم عنصر مهم في تشكيل فائدتها الفنية الإبداعية.

أما عن مدى معرفة حازم قرطاجني (ت:684هـ) بالبينية، فقد تحدث في كتابه منهاج البلغاء عن اقتباس المعاني وكيفية اجتلابها وتأليف بعضها إلى بعض، فقال: " يجب على من أراد جودة التّصرف في المعاني وحسن المذهب في اجتلابها والحذق بتأليف بعضها إلى بعض أن يعرف أن للشعراء أغراضا أول هي الباعثة على قول الشعر. وهي أمور تحدث عنها تأثرات وانفعالات للنفوس .... فالأمر قد يبسط النفس ويؤنسها بالمسرة والرجاء ويقبضها بالكآبة والخوف[2]".

---

(1). الجرجاني. دلائل الإعجاز، ص: 525.

(2) القرطاجني، أبي الحسن حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء (2008)، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثالثة، ص:11

إن حديث حازم قرطاجني عن المعاني واقتباسها ونظم الكلم بعضه ببعض جعله أداة تستقيم ونظامه ببعضه، ولكنه لم يقف عند حد نظم الكلم وتآلفه والمعاني المبتكرة، بل تطرق إلى الحديث عن الجوهر الباني في نفس الناظم وعن البواعث الأساسية التي جعلته ينظم هذا الكلم ويحدد ماهيته من خلال بيان ما نظمه وقراءة نفس الناظم من خلاله، إن البواعث النفسية قبل التأليف والتي أشار إليها الكاتب تتجلى وعلم النفس في أنها تؤثر في النظم وتآلفه وعن المعاني التي تصدر عنه، يثمل النص السابق الالتقاء بين علم النفس من جهة وبين علم اللغة وعلم البلاغة من جهة أخرى من خلال حديثه عن المعاني، وهذا أحد الجوانب التي تبحث فيها البينية الحديثة.

فلم يقف حازم قرطاجني في حديثه عن نظم الكلام عند هذا الحد وإنما تحدث عن تأثير الكلام في نفس المتلقي، فقال: " وأن يؤخذ الكلام من كل مأخذ حتى يكون كلّ مستجّدا بعيدا عن التكرار، فيكون أخفّ على النفس وأوقع منها بمحلّ القبول[1]"

وهذه الإشارات تتفق وعلم البينية الحديثة من حيث أنها تربط البلاغة بعلم النفس ومدى تأثيرها على المتلقي.

ومن خلال ما سبق كله يتبين أن النقاد والبلاغين القدماء قد تناولوا طرفاً من البينيّة ضمن مظاهر البلاغة المختلفة، وخلال حديثهم عن علومها المتعددة، كما وقع ذلك في علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع، فالإفادة من العلوم المختلفة من شأنه أن يمنح الخطاب قوة تأثيرية في المتلقي، وأن يجعله مستوعباً عناصر هذا الخطاب بكل تفاصيلها، وبالتالي تزداد الفائدة من النصوص، وتتحقق الغايات عبر ربطها بتلك العلوم على اختلافها وتنوعها، وهو ما تسعى البينيّة لإظهاره، وجعله عنصراً بحثياً مهماً في إطار هذا العلم، وتلك الإشارات التي وردت عند نقادنا القدماء واضحة الدلالة على ما تتناوله البينيّة في العصر الحديث، غير أن المسميات اختلفت، والفكرة اتضحت أكثر في البينيّة الحديثة، مع التأكيد على حضور فكرتها ولو بصورة جزئية عند علمائنا القدماء.

---

(1) القرطاجني، أبي الحسن حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء (2008)، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثالثة، ص: 16.

3.1: البينيّة في الدراسات الحديثة:

تناول النقاد المعاصرون البينيّة في دراساتهم، وبحثوا في طبيعتها سواء من الجانب التطبيقي البحت، أم من الجانب التنظيري، على الرغم من كون هذه الدراسات المستقلة والمتخصصة جاءت متأخرة، إلا أنها في نهاية المطاف موجودة في درسنا المعاصر.

ولقد أشار بعض النقاد المعاصرين أمثال نازك الملائكة إلى ما يحتاج إليه الناقد من علوم أخرى، كعلم النحو واللغة، حتى يتمكن من الوقوف على الأخطاء النحوية واللغوية التي قد يقع فيها الشاعر، والناقد العربي بأمسّ حاجة لهذه العلوم من الناقد غير العربي؛ لأن الناقد الفرنسي مثلاً لا يحتاج لمعرفة الخطأ النحوي عند الشاعر الفرنسي، وذلك لذهاب الإعراب من اللغة الفرنسية، واعتماد الكلام على المعنى فحسب[1].

فهذه إشارة غير مباشرة من نازك الملائكة للبينيّة، فمعرفة الناقد بعلوم اللغة، وعلم النحو تحديداً يعد من مظاهر البينيّة، وتداخل العلوم المختلفة؛ إذ لا يمكن النظر للنقد من دون هذه العناصر المكملة لمعناه، والمتممة لمقتضاه.

أما ما يُحسب حقيقة للبينيّة في درسنا الحديث تلك الدراسات المستقلة والمتخصصة التي أخذت على عاتقها الإشارة لعلم البينيّة بصورة مستقلة وواضحة المعالم، فقد كتب نور الدين بنخود دليلاً للدراسات البينيّة في اللغة والأدب والفلسفة والعلوم الإنسانية عموماً، ضمن هذا الكتاب حديثاً عن أثر العلوم المختلفة في الأدب، انطلاقاً من اللغة وعلومها، والتاريخ، وعلم الاجتماع، والسياسة، وعلم النفس، والفلسفة، وغيرها من العلوم الإنسانية المختلفة والمتنوعة[2]، وهو ما منح دراسته صبغة التخصصية المباشرة للحديث عن علم البينيّة كما ورد علينا، وبيان أهم ركائزه ومكوناته العلمية التطبيقية التي أظهرها النقاد وتابعوها في دراساتهم.

أما مجدي محمود رشاد، فقد تبنى البينيّة في عدد من أوراقه البحثية، وجعلها موضعاً للنقاش في عدد من البحوث، من ذلك ما كتبه عن البينيّة النحوية العقائدية في

---

(1). انظر: الملائكة، نازك صادق(د.ت). قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت/ لبنان، الطبعة الخامسة، ص: 334.

(2). انظر: بنخود. دليل الدراسات البينيّة، ص: 2.

القرآن، إذ تناول في هذا البحث الحديث عن أثر البينيّة في القرآن الكريم من جهة علوم اللغة والنحو، والعقيدة، وأظهر دور تداخل هذه العلوم في تحقيق الدلالة المقصودة، والوصول إلى الهدف المنشود، وما هذا إلا بحث تطبيقي بحت للبينيّة في درسنا الحديث[1].

ومن البحوث التي تناولت البينيّة بربطها ببعض علوم البلاغة ما كان من دراسة مجدي محمود رشاد للبينيّة البديعية في العربية، فقد أظهر في هذا البحث تلك السمات البينيّة التي يتسم بها علم البديع في العربية، وما يتداخل معه من العلوم المختلفة، للوصول إلى تماسك هذه العلوم وانسجامها من أجل تحقيق الفائدة الإبداعية، والقيمة الدلالية البليغة في نفس المتلقي اعتماداً على تداخل تلك العلوم، وانسجامها مع بعضها[2].

وقد توجه بعض الباحثين للنظر في الجانب التنظيري البحت للبينيّة، وابتعد عن تطبيقاتها في العلوم المختلفة والمتنوعة، فكتبوا في نشأة البينيّة، والدلالات التي ترتبط بها، وهي دراسة تتبنى الجانب التنظيري البحت، وتحاول الوصول إلى إفهام المتلقي بالمعنى المنوط بهذه البينيّة، والدلالة المقصودة منها[3].

إن هذا الاهتمام من قبل الباحثين وإنْ جاء متأخراً نوعاً ما، إلا أنه حاضر في درسنا الأدبي البلاغي المعاصر، وهو سعي مباشر وحثيث من أجل متابعة ركب الحداثة، وتحقيق المقصود من هذا البحث الجديد، والإفادة منه في شتى العلوم والتخصصات، فما البينيّة إلا باب يمكن الإفادة منه في تطبيق عدد كبير من الدراسات الجديدة، والوصول إلى القيمة الإبداعية المميزة لهذه الأعمال المتنوعة التي تشير إليها البينيّة في مواضعها الدرسية.

وعموماً فثمة اهتمام كبير من قبل الباحثين العرب المعاصرين، سواء في مجال الدراسات النقدية، أم في غيرها من مجالات العلوم الأخرى المرتبطة بالبينيّة، فهم يرون أن البينيّة ميدان جديد للبحث والتّطوير ضمن ميادين العلوم الأخرى، فليس الأمر

---

(1). انظر: رشاد. البينيّة النحوية العقائدية في القرآن، ص: 101.

(2). انظر: عبد الوهاب. البينيّة البديعية، ص: 410.

(3). انظر مثلاً: حسن. في البينيّة نشأتها ودلالتها، ص: 241.

مقتصراً على النقد والبلاغة مثلاً، وإنما يصلح تطبيق البينيّة على سائر العلوم الأخرى، ولقد عقدت جامعة المِنيا – كلية دار العلوم مؤخراً مؤتمراً دولياً تناول البينيّة، وهو مؤتمرها التاسع، وجاء بعنوان: الدراسات البينيّة في العلوم العربية والإسلامية في ضوء التسارع التكنولوجي والمعرفي، وذلك في الفترة ما بين: 24 – 2022/3/26م، وقد جاء هذا المؤتمر ليسلط الضوء على دور البينيّة في الدراسات العربية والإسلامية، بمعنى أنه يعد حقلاً خصباً في الدراسات المعاصرة، وهو ما يعني توجيه الجهود العربية عموماً نحو هذا الاتجاه المعرفي الجديد.

وانطلاقاً مما سبق كله، يظهر للناظر كيف أن النقاد العرب المعاصرين، والدارسين والباحثين قد تنبهوا لفكرة البينيّة، واهتموا بمعطياتها ومنجزاتها، وأجروا بعض الدراسات المتخصصة لها، قاصدين بذلك الوصول إلى بغيتهم في تطوير العلم وبناء المعرفة، والتعمق في جوهر المعلومة اللغوية والأدبية، بهدف تقصير المسافات الفاصلة بين هذه العلوم المتنوعة.

الفصل الثاني
البلاغة وعلوم اللغة العربية

لا شك أنّ من بين أهم العلوم التي تتداخل مع البلاغة العربية هي علوم اللغة، نحوها وصرفها ودلالتها، انطلاقاً من كون هذه العلوم هي التي تفضي بالبليغ إلى

تشكيل بنية النص، والوصول به إلى مكوناته التركيبية بعناصرها الإسنادية، وجوانبها البنائية، إذ لولا هذه العناصر والمكونات لما استطاع البليغ من الوصول إلى غايته الإفصاحية، ولما تمكن من البوح بجماليات هذه اللغة، فالبلاغة تحتاج إلى النحو، وهو ما بدا جلياً في كلام مصنفات البلاغة حينما تناولوا موضوعاتها المختلفة[1].

1.2: علاقة البلاغة بعلم النحو:

ويعرف علم النحو بالمستوى النحوي، أو بالمستوى التركيبي، انطلاقاً من كونه هو المضطلع بتركيب الجملة، وبناء الكلام، فهو الذي يضبط العلاقة بين وحدات الكلام المختلفة، ويقيم العلاقات النحوية التركيبية بينها، وخصوصاً العلاقات الإسنادية القائمة على المسند والمسند إليه[2].

وعند الحديث عن علم النحو أو المستوى النحوي في الكلام فإننا لا يمكن النظر إليه بمعزل عن المستويات اللغوية الأخرى، الصوتية والصرفية والدلالية، فثمة علاقة تكاملية بين مستويات اللغة برمتها، إذ تظافرت هذه المستويات حتى تشكل التركيب اللغوي السليم[3].

ويتناول علم النحو في العربية القضايا الإعرابية بالدرجة الأولى، سواء في جانب تقدير الحركات، أو العلاقة الإسنادية بين المسند والمسند إليه، أو في جانب الحديث عن مظاهر البنية التركيبية للكلام، وما إلى ذلك من القضايا النحوية التي تدخل في هذا الإطار[4].

ويختص كل مستوى من مستويات اللغة: النحوي والصرفي والصوتي، بخصائص ينفرد بها عن سواه من المستويات، فلا يعني تكاملية هذه المستويات أنها متماسكة في

---

(1). انظر: عبد الوهاب. البينيّة البديعية، ص: 410.

(2). حسان، تمام (2006م). اللغة العربية معناها ومبناها، دار عالم الكتب، بيروت . لبنان، الطبعة الخامسة، ص: 89.

(3). انظر: ليونز، جون (د.ت). اللغة وعلم اللغة، دار النهضة العربية، القاهرة . مصر، الطبعة الأولى، ص: 138.

(4). انظر: بشر، كمال (د.ت). دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر، عمان . الأردن، الطبعة الأولى، ص: 189.

جميع النواحي، بل قد ينفرد المعنى النحوي عن المعنى الصرفي، فالمعنى النحوي مبني على علاقات التركيب المختلفة، في حين أن المعنى الصرفي مبني على مظاهر البنية واشتقاقاتها المتنوعة، من هنا يختلف كل مستوى عن غيره من المستويات الأخرى في سبيل الوصول للدلالة المقصودة[1].

ويتداخل علم النحو مع البلاغة العربية، ضمن إطار من البينيّة اللغوية، وذلك في عدد كبير من المظاهر، يمثل علم المعاني ميدانها، سواء في جوانب الخبر والإنشاء، أم التعريف والتنكير، أم الحذف، أم الإنشاء والأساليب الإنشائية المتنوعة، فكل هذه العناصر تدخل في إطار البينيّة البلاغية مع علم النحو، وهو ما سنبينه تالياً.

يأتي الكلام في العربية ضمن واحد من نمطين بلاغيين لا غير، إما أن يكون خبراً أو إنشاءً، فأما الخبر فهو ما يحتمل الصدق أو الكذب في الكلام، والمقصود بالصدق هاهنا مطابقة الخبر للمخبر عنه، في حين أن الكذب يكون بعدم مطابقة الخبر للمخبر عنه[2].

وللخبر في العربية ثلاثة أنماط، إذ لا يأتي الخبر هكذا دون أن يرتبط بعنصر من عناصر الدلالة السياقية المرتبطة بعملية التواصل بين المرسل والمتلقي، فلا بد للمرسل أن يكون مطلعاً على حال المتلقي، وبالتالي يكون الخبر موافقاً لتلك الحال، وتبعاً لمعرفة المرسل بحال المتلقي فإنه قد يضمن الخبر شيئاً من المؤكدات اللفظية التي من شأنها أن تزيل التردد أو الإنكار من ذهن المتلقي[3].

وبناء على ذلك فإنّ الخبر في العربية يأتي على ثلاثة أنماط، الأول: أن يكون المتلقي خالي الذهن، لا متردداً ولا منكراً للخبر، ففي هذه الحالة يأتي الخبر دون

---

(1). انظر: السعران، محمود (1997م). علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة . مصر، الطبعة الثانية، ص: 187.

(2). الحسيني، يحيى بن حمزة(1423هـ). الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 1، ص: 26، وانظر: السبكي، أبو حامد أحمد بن علي: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، 1423هـ/ 2003م، ج: 1، ص: 419، والهاشمي، أحمد بن مصطفى: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تحقيق وتدقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، ص: 55.

(3). انظر: الكرماني، محمد بن يوسف(1425هـ). تحقيق الفوائد الغياثية، تحقي: علي العوفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة – السعودية، الطبعة الأولى، ج: 1، ص: 265.

مؤكدات، كقولنا: الدينُ الإسلامُ، أو: الحقُّ منتصرٌ، وهكذا، والثاني: إذا كان المتلقي متردداً في تصديق الخبر، فإنّ المتكلم يأتي بمؤكد من هذه المؤكدات، كـ "إنّ"، أو لام الابتداء، فيؤكد الخبر بها، ليزيل الشك عنه، كقولنا: إنّ الناس خائفون، فقد أكّد الخبر بـ "إنّ" على اعتبار تردد المتلقي في تصديق هذا الخبر أو تكذيبه[1]، الثالث: وهو الخبر المرتبط بإنكار المتلقي لما يقدمه المرسل من خبر، فيحتاج المرسل إلى مؤكدين أو أكثر حتى يدفع هذا الإنكار عن ذهن المتلقي، وذلك كقولنا: واللهِ إنَّ البرد قارس، ففي هذه الحالة جاء المؤكدان "والله، إنّ" كي يزيل الإنكار عن هذا المتلقي[2].

ولا شك أن حضور الخبر بأنواعه الثلاثة واقع في جميع الخطابات الأدبية المختلفة، ومن بينها رسائل عبد الحميد الكاتب، فهو يعتمد على الخبر باعتباره جزءاً مهماً من تشكيل الخطاب الأدبي، وجميع رسائله تعتني بالخبر عناية واضحة.

1.1.2: الخبر الابتدائي:

ثمة نماذج كثيرة ومتعددة جاءت عند عبد الحميد الكاتب على أنواع الخبر المختلفة، ومن بينها ما جاء في قوله: " وكان له بلاءٌ جميلٌ في ولاية أمير المؤمنين (...) ببيان أمرِ عمرو بن سعيد ولمَ نالته جفوتك، وما دعاه إلى الاستزادة منك، فإنَّ له قرابةً قريبة معها بلاءٌ جميل وطاعةٌ لبِّنة لم يُثَبْ على واحدٍ منهما، وقد كان أمير المؤمنين بارّاً بأهلِ الطاعة وأصلا لأهل لُحْمَتِهِ وقرابته"[3].

فقد افتتح عبد الحميد الكاتب رسالته بخبر ابتدائي لا يشتمل على أي من أنماط التوكيد المختلفة، إذ إنّ قوله "كان له بلاء جميل..." خبر ابتدائي يُقدم للمتلقي وهو خالي الذهن دون أن يكون بحاجة لشيء من المؤكدات اللفظية[4]، ما يعني أن عبد

---

(1). السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر (1987م). مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، الطبعة الثانية، ج: 1، ص: 170.

(2). انظر: القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ج: 1، ص: 69

(3). عباس، إحسان (1988م). عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم بن أبي العلاء، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان/ الأردن، الطبعة الأولى، ص: 191 – 192.

(4). انظر: المرادي، أبو محمد حسن بن قاسم (1993م). الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، ص: 130.

الحميد الكاتب على معرفة ودراية بما يقع في ذهن المتلقي من عدم الإنكار، وأنه خالي الذهن فيما يُلقى إليه من أخبار، فمعرفة عبد الحميد الكاتب بهذا المعنى، وقدرته النحوية على ربط الخبر بواقع أمر المتلقي دفعه ذلك كله إلى عدم إدخال أي من المؤكدات اللفظية على الجملة الابتدائية، ثم إنه جاء في منتصف كلامه بـ "إن"، وذلك في قوله: "فإنَّ له قرابةً قريبة معها بلاءٌ جميل وطاعةٌ ليِّنة لم يُثَبْ على واحدٍ منهما"، وهذا عنصر توكيدي أتى به الكاتب ليزيل عن المتلقي ما قد يقع في نفسه من التردد والإنكار لما يُلقى عليه من خبر، فاستطاع عبر هذا المؤكد اللفظي الذي هو من صلب علم النحو أن يزيل هذا التردد، ولولا معرفة عبد الحميد الكاتب بهذا العمل النحوي لـ "إنّ" من جهة التوكيد لما أتى بها ضمن إطار هذه الجملة الإخبارية، فهذا تداخل بين علمي النحو من جهة، والبلاغة من جهة أخرى، وتقصير للحد الفاصل بينهما، مما يشير إشارة واضحة للبينيّة العلمية بينهما.

ومن المواضع كذلك ما جاء في قوله: " ومن ذلك أن تملك أمورك بالقصد، وتصونَ سرَّك بالكتمان، وتداري جندك بالإحسان، وتداوي حقدك بالإحسان، وتذلل نفسك للعدل، وتحصن عيوبك بتقويم أوّدك، وتمنع عقلك من دخول الآفات عليه بالعُجْبِ المردي"[1].

المخاطب بمجاهدة الأهواء، نجد أنه يجعل من الخبر الابتدائي وسيلة لإظهار هذه المعاني، وإبداء ما فيها من عناصر الدلالة، بعيداً عن المؤكدات اللفظية الآتية من علم النحو، فهذه جمل إخبارية خاضعة لمعيار الصدق والكذب، والخبر الابتدائي واضح التشكيل فيها[2]، فالجمل التي أتى بها الكاتب جمل فعلية، إخبارية مباشرة، يتمثل القصد منها بإسداء النصيحة للمخاطب، وإعطائه خبراً لمخاطب خالي الذهن، دون أن تخضع هذه التراكيب لشيء من التوكيد اللفظي، وهو ما يتمازج مع علم النحو، فالجمل مجردة من عناصر التوكيد، وبالتالي فمعناها مباشر لخالي الذهن، انطلاقاً من نوع الخبر الابتدائي المنوط بخالي الذهن، فقد أشار البلاغيون إلى أن

(1). عباس. عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 221.

(2). انظر: ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل (د.ت). الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت . لبنان، ج: 1، ص: 62.

الخبر المتجرد من عناصر التوكيد اللفظي المأخوذة من علم النحو يكون خبراً ابتدائياً، لا يحتاج لشيء من المؤكدات، اعتماداً على كون المتلقي خالي الذهن.

ومن هنا تقارب العلمان – النحو والبلاغة – وتمكن الكاتب من تحقيق البينيّة بينهما، لإفادة المتلقي بالقيمة الدلالية المرتبطة بهذين العلمين معاً.

ومن النماذج الإخبارية التي أوردها عبد الحميد الكاتب في رسائله، ما جاء في قوله: " وخصالٌ من معايب الملوك، والسّوقةُعنها غبية النظر إلا من عرفها من أهل الأدب، وقلَّ ما حاملٌ لها مُضْطَلِعٌ بِثِقْلِها آخذٌ لنفسه بجوامعها، فانفها عن نفسك بالتحفّظ منها، وآملك عليها اعتيادك إياها معنيّاً بها"[1].

يشتمل النص السابق من رسالة عبد الحميد الكاتب في مخاطبة الأمير على مجموعة من النصائح والإرشادات التي قد يقع الأمير في خلافها، وفيها معابة عليه، فأراد الكاتب أن يخبره عنها، وأن يقدمها له وفقاً لإطار الكلام غير المؤكد بشيء، كما أضاف التنكير في الألفاظ التي ابتدأ بها الكاتب كلامه مقداراً من العموم والكثرة[2]، بمعنى أنه يجعل من هذا الخبر خبراً ابتدائياً، معتمداً على كون المتلقي خالي الذهن، لا ينظر إلى هذا الخبر نظرة تشكيك، ولا إنكار، ولا تردد، وبالتالي فإن الكاتب لا يحتاج شيئاً من المؤكدات، بل يأتي بالكلام على الإخبار مباشرة، وهو ما جرى في هذا الخطاب، وتم في هذه الرسالة.

إن اعتماد الكاتب على الألفاظ النكرة، والجمل المجردة من عناصر التوكيد النحوي المعهودة أساس بنائي اعتمد عليه في توظيف عبارته البلاغية توظيفاً مناسباً سليماً معتمداً على جوانب النحو المختلفة، إذ استطاع عبر هذه العناصر اللغوية أن يصل لمبتغاه من توظيف النحو في سبيل خدمة النص البلاغي.

ومن المواضع التي اشتملت على نمط من أنماط الخبر ما كان من تحميدات عبد الحميد الكاتب، إذ يقول في بعض تحميداته: "" الحمد لله الناصر لدينه وأوليائه وخُلفائه، المُظهر للحقِّ وأهله، والمُذِلَّ لأعدائه أهل البدعة والضلالة الذي لم يَجْمَع بين

---

(1). عباس. عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 232.

(2). انظر: السامرائي، فاضل صالح (2000م). معاني النحو، دار الفكر، عمان/ الأردن، الطبعة الأولى، ج: 3، ص: 303.

حق وباطل، وأهل طاعة ومعصية، إلا جَمَل النُّصرة والفَلْج، والعاقبة لأهل الحق وطاعته. وجعل الخزي والذّلة والصّغار على أهل الباطل والخلاف والمعصية، حمداً يتقبَّله ويرضاه ويُوجب به لأمير المؤمنين وأهل طاعته الزيادة التي وعد من شكره"[1].

لقد جاء النص السابق من رسالة عبد الحميد الكاتب وفقاً لإطار من الإخبار الابتدائي لخالي الذهن، فلم يبتدئ الكاتب كلامه وإخباره بشيء من المؤكدات، ولم يضمنه نوعاً من التوكيدات، وهو يقصد بذلك منح هذا الخبر سمة الإخبار الابتدائي، والتعامل مع المتلقي باعتباره خالي الذهن، ولولا المعرفة بعلم النحو ومزجه بعلم البلاغة لما خرج هذا الكلام على نمطيته، ووفقاً لإبداعه وجماله، وتبعاً لمظاهر الانسجام اللغوي الدلالي المرتبط بعلوم البلاغة المختلفة، ومظاهر النحو المتماسكة، فإن عدم وجود عناصر توكيدية نحوية يشير إلى معرفة الكاتب بعدم ضرورتها ما دام الخبر لا يحتاجها، خصوصاً وأنه يرتبط بالتحميد، فجعل الكاتب هذا الخبر خالياً من المؤكدات في سبيل الوصول إلى غايته البينيّة بعلم النحو والبلاغة.

ومن النماذج على الخبر أيضاً ما جاء في قوله: " حفِظكمُ الله يا أهلَ هذه الصناعة، وحاطكُم ووفقكمْ وأرشدكمْ؛ فإن الله جلَّ وعزَّ، جعل الناسَ بعد الأنبياءِ والمرسلينَ – صلواتُ الله عليهم أجمعين – ومن بعدِ الملوكِ المُكَرَّمينَ سُوَقا، وصرَّفهم في صنوفِ الصناعاتِ التي سبَّب منها معَايشَهم، فجعلكم معشر الكتاب في أشرفِها صناعة، أهلَ الأدبِ والمروءةِ والحِلمِ والرَّوِيَّة، وذوي الأخطار والهممِ وسَعَةَ الذَّرْعِ في الإفضال والصِّلة"[2].

يمزج الكاتب في هذا النص من رسالته إلى الكتاب بين الخبر لخالي الذهن، والخبر للمتردد، وذلك حينما أدخل "إنّ" المؤكدة على حديثه عن معشر الكتاب، وبيّن قيمتهم بين أهل الصناعة المختلفة، وهو بهذا التوكيد ألمح إلى بعض مكونات النحو، وأدخل نمطاً من التوكيد اللفظي المرتبط بعناصر لغوية نحوية.

---

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 271.

(2). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 283.

إن هذا الامتزاج الحاضر بين علمي البلاغة والنحو منح الرسالة قوة دلالية أكبر، عبر ما استقر في ذهن الكاتب والمتلقي على حد سواء من معايير التماسك العلمي بين العلوم المختلفة ومن بينها علمي النحو والبلاغة على ما يظهر في هذا النموذج.

2.1.2 : خبر المتردد:

ويأتي عبد الحميد الكاتب بمجموعة من الرسائل التي اعتمدت على بعض المؤكدات التي تشير إلى خبر المتردد في الكلام، وهي ليست بالكثرة التي نجدها في رسائل الخبر الابتدائي، وفيما يلي مجموعة من النماذج على هذا النوع من الخبر.

يقدم عبد الحميد الكاتب تهنئة لبعض أصدقائه في مولود له، وكان أول مولود، يقول فيه: " فإني ما أتعرَّفُ من مواهب الله نعمةً خُصِصْتُ بمزيّتها وأُصفيتُ بخصّيصاها، كانت أسرى من هبةِ الله لي ولداً سمّيته فلاناً، وأمَّلتُ ببقائه بعدي حياة ذكري، وَحُسن خلافتي في حُرمي، وإشراكه إيّاي في داعئه[1].

وعند النظر في جزء هذه الرسالة نجد أنها قد افتُتحت بـ "إني"، وهو نمط توكيدي يأتي في الجملة الاسمية، فينسخها عن حالها، ويفيد التوكيد باعتبار "إنّ" المشددة المؤكدة[2]، والقصد منه دفع التردد من ذهن المخاطب، وحمله على التصديق بما يقوله المتكلم، ولا يتأتى ذلك إلا عبر هذا المؤكد اللفظي في الكلام، وعند تلقي المتلقي هذه العبارة المؤكدة بـ "إنّ" فإنه يستشعر قيمة هذا التوكيد في بناء الكلام، وتكوين العبارة اللغوية، ويعي القيمة الدلالية المرتبطة بهذا العنصر النحوي التوكيدي، فلولا معرفة المتلقي والكاتب معاً بهذه القيمة النحوية لـ "إنّ" لما تمكن من الإحساس بقيمة التوكيد المرتبط بتركيب هذه الجملة، هذا يعني أنّ المسافة قد قصرت بين هذين العلمين –النحو والبلاغة – وصار الكلام عن تداخل بيني ضمن هذين العلمين، ما يفضي في نهاية المطاف إلى الإفادة من هذا العلم وذاك.

---

(1). عباس. ما تبقى من رسائل عبد الحميد بن يحيى الكاتب، ص: 201.

(2). انظر: الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد (1969م). الإيضاح العضدي، تحقيق: حسن شاذلي فرهود، الرياض/ السعودية، الطبعة الأولى، ص: 115.

ومن ذلك أيضاً ما جاء في قوله: " أما بعد، فإن أمير المؤمنين – عندما اعتزم عليه، من توجيهك إلى عدوٍّ الله الجِلف الجافي الأعرابي المفكح في حيرة الجهالة وظُلم الفتنة، ومهاوي الهلكة، ورعاعهِ الذين عاتوا في أرض الله فسادا، وانتهكوا حرمة الإسلام استخفافا وبدّلوا نعم الله كفرا، واستحلُّوا دماء أهل سلمه جهلا"[1].

يخاطب عبد الحميد الكاتب في هذه الرسالة عبد الله بن مروان بن محمد، وقد كتب هذه الرسالة على لسان أبيه مروان، وهو يطلب منه التوجه لقتال بعض الخوارج، فجعل الكاتب من أداة التوكيد "إنّ" ابتداء لصدر الرسالة هذه، وهو لم يجعلها في هذا الموضع عن عبث، بل أراد من وجودها منح العبارة مزيداً من التوكيد والتشديد على قيمة ما أوكله مروان بن محمد لابنه من أمر، فحرف النصب "إنّ" هنا يفيد التوكيد بلا شك[2]، وهذا كله ذو ارتباط بفكرة الرسالة وحقيقتها، ولقد أتى الكاتب بعباراته البلاغية هذه ممزوجة بعنصر التوكيد هذا من قبيل التداخل بين علمي النحو والبلاغة من أجل تحقيق عناصر المعنى المطلوبة؛ إذ استطاع الكاتب عبر هذا التداخل من خلق تباين واضح وحقيقي بين هذين العلمين، وإقصاء سائر الحدود الفاصلة بينهما، ليجعل من هذا التداخل وسيلة لإظهار البينيّة البلاغية ضمن هذا الإطار الجمالي في الرسالة التي وجهها عبد الحميد الكاتب على لسان مروان بن محمد لولده عبد الله.

ومن النماذج أيضاً ما جاء في قوله: " فإن الفتنة تستشرفُ بأهلها، متشوّقةً بآنقِ منظرٍ، وأزين ملبس"[3].

يبدأ الكاتب هذا الجزء من رسالته الفنية بأداة التوكيد "إنّ"، قاصداً بها توكيد المعنى الذي يتحدث عنه، ألا وهو الفتنة، ومتعمداً الإتيان بهذه الأداة وصولاً إلى مقصده التمازجي بين البلاغة من جهة، والنحو من جهة ثانية، بغرض الكشف عن جماليات البلاغة عبر قوة الألفاظ والتعبيرات النحوية المتأتية من طبيعة كل عنصر من هذه العناصر، وعلى رأسها "إنّ"، مراعياً في استعمالها حال المخاطب، الذي قد يصحبه

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 215.

(2). انظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان (د.ت). اللمع في العربية، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، ص: 41.

(3). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 214.

التردد في طبيعة الحكم على هذا الموقف الذي يتناوله، والفكرة التي يتحدث عنها، في سبيل الكشف عن براعة هذا التركيب النحوي وعلاقته بإزاحة هذا التردد من ذهن المتلقي، وإبعاد الشكوك عن عقله، وفكرة التردد المفترضة لدى المتلقي آتية من نوع الخبر الذي أتى به الكاتب، فهو الخبر المؤكد بـ "إنّ" التي تفيد معنى التوكيد المضاف إلى عملها النحوي.

يوحي ذلك بتداخل علمي النحو والبلاغة، وإلغاء الحدود الفاصلة بين هذين العلمين، للوصول في نهاية المطاف لتطبيق صحيح وسليم للبينيّة بين البلاغة من جهة والنحو من جهة ثانية.

ومن النماذج كذلك ما جاء في قوله: "استكثر من فوائد الخير فإنها تنشرُ المحمدة وتُقيلُ العثرة، واصطبر على كَظْمِ الغيظ، فإنه يُورث الراحة ويؤمّن الساحة"[1].

لقد أتبع الكاتب نصيحته التي نصح بها الأمير بخبر مؤكد بـ "إنّ" وذلك في المواضع الآتية من الرسالة: فإنها تنشر...، فإنه يورث الراحة، وهذه الأخبار المؤكدة بـ "إنّ" من شأنها أن تدفع عن المتلقي ما ينغص عليه تصديقه للخبر، وما وقع في نفسه من التردد بالتصديق، فهذا الخبر ليس ابتداءً حتى يكون المتلقي خالي الذهن، فيستفيد الكاتب من هذا الخلو بأن يمنحه مجموعة من الأخبار التي من شأنها أن تكون مباشرة للتصديق، بل ارتأى أن يُدخل بعض المؤكدات على الكلام كي يدفع المتلقي للتصديق والأخذ بما ينصحه عبر هذا السياق والخطاب، وبالتالي فإن معرفة الكاتب والمتلقي على حد سواء بعلم النحو هو الذي منحهما القدرة على الوصول إلى القيمة البلاغية الكبيرة لهذا النص، فامتزاج البلاغة بالنحو امتزاج واضح ومباشرة، والقدرة على استيفاء مظاهر البيان عبر تداخل هذه العلوم واضحة، وبالتالي فالبينيّة حاضرة ضمن هذا الخطاب، وهي وسيلة التماسك في إطاره التركيبي والبنائي والدلالي، وهو ما استطاع الكاتب تحقيقه بكل توفيق وعمق.

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 233.

ويقول عبد الحميد الكاتب في موضع آخر: "ثم اعلم أن القضاء من الله بمكان ليس به شيءٌ من الأحكام، ولا بمثلِمحلّه أحد من الولاة، لما يجري على يديه من مغاليظ الأحكام، ومجاري الحدود"[1].

عند النظر في مطلع هذه الرسالة، نجد أن عبد الحميد الكاتب قد افتتحها بالإخبار عن القضاء، وضرورته وأهميته وخطورته، وافتتح الكلام بفعل الأمر ليفيد التنبيه ولفت انتباه المتلقي على سبيل الالتماس[2]، ثم انتقل بالكلام بـ "إنّ" المؤكدة، قاصداً الإفادة من هذا العنصر النحوي التأكيدي، حتى تترسخ الفكرة في ذهن المتلقي، وتجد لديه أذناً صاغية واعية، ولا يأخذ المعنى إلا بمحمل الجد، وذلك انطلاقاً من إحساسه بقيمة هذا العنصر التوكيدي في الكلام، ومعرفته أن هذا التأكيد لا يأتي في سياق الخطاب الأدبي إلا لعمل توثيقي في نفس المتلقي، وإشعاره بالقيمة المنوطة به، وهو ما قصده عبد الحميد الكاتب جملة وتفصيلاً، فإن هذا الخبر جاء مؤكداً بـ "إنّ" لدفع سائر أشكال التردد أو الإنكار لدى المتلقي، ودفعه للأخذ به على سبيل الضرورة.

عند النظر إلى القيمة التوكيدية المرتبطة بعنصر التوكيد في أول الرسالة، نجد أنه عنصر أضاف إلى الدلالة البلاغية قيمة أخرى متأتية من القيمة النحوية المرتبطة بالجانب التوكيدي للعبارة التراسلية التي جاء بها الكاتب ضمن هذا الخطاب.

ومن خلال ما سبق يمكن أن نلحظ أن عبد الحميد الكاتب قد وظف معطيات علم النحو في ميدان الخبر، إذ إن استعمال المؤكدات اللفظية كان له أثر كبير في توكيد المعنى للمخاطب، وهو ما منح العبارات الإخبارية دلالة أعمق، ومعنى أبيَن بالنسبة للمتلقي، وبالتالي فقد امتزج علم النحو بالبلاغة العربية، وكان له تأثيره المباشر في تشكيل بنيتها خصوصاً في علم المعاني، إذ إنّ معرفة الكاتب والمتلقي على حد سواء بعلم النحو فتح الباب أمامهما لفهم طبيعة التركيب البلاغي للكلام.

---

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 245.

(2). انظر: حسن، عباس (د.ت). النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة/ مصر، الطبعة الخامسة عشرة، ج: 4، ص: 366.

وبعد هذا العرض لنمطين من أنماط الخبر لم يمرّ بي رسالة اشتملت على خبر إنكاري، ربما لكون الموضوعات التي تناولتها رسائل عبد الحميد الكاتب لا تحتمل أن تكون مُنكرة لدى المتلقين، وبالتالي لم يحتجّ إلى خبر إنكاري في الكلام.

3.1.2:الإنشاء :

يعرف البلاغيون الإنشاء بأنه ما لا يحتمل الصدق ولا الكذب في الكلام، وهو ضد الخبر، باعتبار أن الخبر يحتمل الصدق والكذب، وينقسم الإنشاء إلى قسمين هما: الإنشاء الطلبي الذي يستدعي مطلوباً وقت الكلام، والإنشاء غير الطلبي الذي لا يستدعي مطلوباً وقت الكلام، ويضم الإنشاء الطلبي الأمر والنهي والنداء والاستفهام والتمني، أما الإنشاء غير الطلبي فيشمل الترجي والمدح والذم، والإغراء والتحذير والاختصاص، والتعجب وغيرها من الأساليب البلاغية المختلفة[1].

وعند الانتقال للحديث عن موضوعات الإنشاء المختلفة، نجد أنها لا تبتعد كثيراً عن موضوعات الخبر من جهة التقائها بعلم النحو، فموضوعات الإنشاء في أكثرها تعتمد على الأساليب النحوية المختلفة، من استفهام ونداء وأمر وتعجب ونحوها، وهذا ما يربطها ربطاً وثيقاً بعلم النحو، ويخلق نمطاً من التداخل الجوهري بين علم النحو من جهة وعلم البلاغة من جهة ثانية.

ومن النماذج التي ترتبط بالإنشاء ما جاء في قول عبد الحميد: " فأوصلْ إلى أمير المؤمنين عِلْمَ حالك في هذا الأمر الذي امتعض منه أمير المؤمنين وأنكره لك ومنك،فإن الحالَ التي يعاتبك عليها أمير المؤمنين حالٌ يخافُ أن يكون ذلك منك عاماً لغيره من نظراءِ شبابِ قريش، فتعظم به المصيبةُ في طول الغفلةِ منك"[2].

لقد ابتدأ عبد الحميد هذه الفقرة من رسالته بفعل الأمر "أوصل" وهو فعل يفيد الأمر، والأمر هاهنا يفيد الالتماس، إذ يخرج الأمر لمعانٍ كثيرة وفقاً للإطار السياقي للكلام[3]، حيث إن الكاتب يطلب من المتلقي أن يوصل لأمير المؤمنين حاله، وفعل

---

(1). القزويني، أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن عمر (د.ت). الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت . لبنان، الطبعة الثالثة، ج: 1، ص: 70.

(2). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 192.

(3). انظر: حسن. النحو الوافي، ج: 4، ص: 366.

الأمر يرتبط بأسلوب الأمر، وهو بذاته عنصر من عناصر الإنشاء الطلبي في العربية، ما يعني حضور معنى الأمر ضمن هذا الأسلوب من جهة، وحضور معنى الطلب من جهة ثانية، ضمن عبارة بلاغية فصيحة جميلة، ولا يمكن للكاتب أن يأتي بأسلوب الأمر دون معرفة مسبقة بفعل الأمر في العربية، وهو جزء من علم النحو، وهذه إشارة مباشرة لما يقع في الكلام من تداخل بين هذين العلمين، وبالتالي تظهر البينيّة البلاغية بين علم النحو من جهة، وعلم البلاغة من جهة أخرى.

ويمكن القول إن الأمر أكثر مظاهر الإنشاء الطلبي حضوراً عند عبد الحميد الكاتب في رسائله، ومن النماذج عليه ما جاء في قوله: " واستعن بالله على كلِّ أمر أردته أو تناولته، فإن الرشدَ بيده وإليه، ولا قوة لخلقه إلا به"[1].

فعند النظر في هذه العبارة اللغوية المأخوذة من بعض رسائل عبد الحميد الكاتب نجد أنها قد ابتدأت بالفعل "واستعن" وهو فعل أمر، ، وهو أسلوب بلاغي إنشائي[2]، قائم على أساس من التلطف في الطلب من هذا المتلقي، وبالتالي فإن معرفة الكاتب والمتلقي على حد سواء بعلم النحو، وما يتعلق بفعل الأمر تحديداً من شأنه أن يسهم في فهمه لطبيعة التركيب البلاغي ضمن هذه العبارة اللغوية، ويزيد في قوتها التأثيرية، وهو ما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالبينيّة البلاغية، فثمة تداخل واضح بين البلاغة من جهة، وعلم النحو من جهة أخرى على اعتبار أن موضوع الأمر يُناقش ضمن علم النحو.

ومن المواضع التي ظهر فيها دور الإنشاء الطلبي – الأمر – في بناء الخطاب البلاغي ما جاء في قوله: " فتمسك به لاجئاً إليه واعتمد عليه مؤثراً له والتجئ إلى كنفه متحّيزاً إليه فإنه أبلغ ما طلب به رضى الله وأنجحهُ مسألةً، وأجزله ثواباً، وأعوده نفعاً، وأعمه صلاحاً وأرشدك الله لحظّك وفهَّمك سداده، وأخذ بقلبك على محموده"[3].

جاء هذا الجزء من الرسالة في نصيحة ولي العهد، مما يعني أن عبد الحميد الكاتب قد جعل من فعل الأمر عنصراً مهماً في بناء هذه الرسالة، وإن السياق الذي جاءت فيه هذه الأفعال الآمرة سياق نصيحة قدمها عبد الحميد الكاتب لولي العهد، وهذه النصيحة

---

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 192.

(2). انظر: الحسيني. الطراز لأسرار البلاغة، ج: 1، ص: 26.

(3). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 218.

تقتضي أن يقدم الكاتب خلاصة ما لديه من البلاغة، وزبدة ما عرفه من الفصاحة، يُضاف إلى هذا قدرته التعبيرية والإفصاحية الآتية من استعمال أفعال الأمر بالصورة المناسبة والمتقنة، حيث يُظهر من خلالها قدرته على توظيف هذه الأفعال في سبيل الوصول إلى معنى الوصية الذي تدور حوله الرسالة.

وبدأ الكاتب هذا الجزء من رسالته بأفعال الأمر، وهي أفعال لها دورها في تشكيل المعنى الإنشائي المرتبط بسياق الخطاب البلاغي، فإن المعرفة الدقيقة بمكونات النحو، وما يترتب على الأمر من معنى هو الذي يدفع بالكاتب والمتلقي على حد سواء لفهم المقصود من هذه العبارات، واستيعاب المنوط بها من تراكيب بلاغية مؤثرة، فليس الأمر مجرد تركيب للكلام دون تدقيق وفهم، وإنما هو عنصر يعتمد على طبيعة التفلت من الحدود الفاصلة بين العلمين: النحو والبلاغة، فقدرة الكاتب على إلغاء هذه الحدود الفاصلة بين العلمين هي التي تمنح الكلام قيمته الإبداعية، وهي التي تمنح البينيّة فرصة للولوج إلى أعماق النصوص، والتأثير في طبيعتها الامتزاجية التكاملية بين العلوم المختلفة.

ويكثر الأمر في رسائل عبد الحميد الكاتب تبعاً لموضوعاتها، والمقصود منها، ومن ذلك ما جاء بمثابة الوصية للمخاطب بأن يخشى الله تعالى، ويشكره، ويقرأ القرآن، يقول: " ثم اجعل لله في كلِّ صباح يُنْعِم عليك ببلوغه ويظهرُ منك السلامة في إشراقه، من نفسك نصيباً تجعله لله شكراً على إبلاغه إياك يومك ذلك بصحة جوارح،وعافية بدن، وسبوغ نعمٍ وظهور كرامة، وأن تقرأ فيه من كتاب الله عز وجل جزءاً تردّدُ رأيك في أدبه، وتزّين لفظك بقراءته، وتحضره عقلك ناظراً في مُحكمه، وتتفهمه متفكراً في متشابهه فإن فيه شفاء القلوب من أمراضها، وجلاء وساوس الشيطان وسفاسفه"[1].

جاءت هذه الرسالة لبيان أهمية شكر الله تعالى وأهمية قراءة القرآن، ولا يخفى على الناظر في هذه الرسالة اعتماد الكاتب فيها على أفعال الأمر، إذ يخرج الأمر إلى معانٍ متعددة، ودلالات متنوعة[2]، وذلك ضمن أسلوب خطابي بلاغي قائم على أساس الإنشاء؛ لما للإنشاء من أثر في نفس المتلقي، وإشعاره بحضوره في كيان الخطاب

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 219.

(2). انظر: الهاشمي. جواهر البلاغة، ج: 1، ص: 74.

الأدبي، وموقعه الحقيقي من تشكيل ألفاظه، وتكميل معانيه، وهو ما يتحصل عبر الإنشاء، غير أنّ المعرفة بالإنشاء من وجهة نظر بلاغية تستلزم معرفة بالنحو، الذي يعد علماً تركيبياً يمنح الكاتب معرفة بالأساليب اللغوية التي ترتبط بالإنشاء، كما هو الحال بالنسبة للأمر في هذه الرسالة، إذ اعتماداً على معرفة الكاتب بالنحو استطاع أن يضمنها الأمر عبر أسلوب لغوي رصين، وتركيب نحوي سليم، ومن هنا يظهر التداخل بين هذين العلمين، ويتمايز علم البلاغة إلى جوار علم النحو، وبالتالي تتشكل البينيّة بينهما، وتتقارب الحدود الفاصلة بين هذين العلمين، مما يفضي إلى نتيجة إيجابية، ويقوي المعرفة بالبلاغة المعرفة بالنحو.

وقد يمزج عبد الحميد الكاتب بين معنى الأمر من جهة، والتحذير من جهة أخرى في سياق التركيب الإنشائي، ومن النماذج على ذلك ما جاء في قوله: "وإياك أن يغمز فيك أحد من حامّتك وبطانة خدمك بضعفةٍ يجد بها مساغاً إلى النطق عندك بما لا يعتزلك عيبُهُ"[1].

أتى الجزء السابق من الرسالة في الإشارة إلى التحفظ من سماع القالة من البطانة المحيطة بالأمير، ويمثل النص السابق من رسالة عبد الحميد الكاتب عنصراً إنشائياً ابتدأ به كلامه، وجعله مزيجاً بين الأمر من جهة والتحذير من جهة ثانية، وقد ظهر عبر لفظه "إياك"، وهو لفظ يفيد التحذير في العربية[2]، وذلك انطلاقاً من القيمة الدلالية المهمة لهذا التركيب الإنشائي، وتبدو معرفة عبد الحميد الكاتب بعلم النحو حاضرة، إذ أفاد من تراكيب الكلام للوصول إلى غايته الدلالية، والوقوف عند هدفه البلاغي المرتبط بالإنشاء، واستثمار الأساليب الإنشائية المختلفة للوقوف على جماليات الكلام، وإبداع المعاني، ولولا هذه المعرفة بعلم النحو لما استطاع أن يصل إلى مبتغاه من تركيب الكلام، وتنميق العبارة، وإحسان الصنعة، وهذا كله يدخل في إطار البينيّة البلاغية، ويمنح العبارة اللغوية جمالها وإبداعها وقيمتها الفنية البلاغية، وهو ما تسعى البينيّة لإظهاره ضمن إطار البلاغة العربية.

---

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 223.

(2). انظر: ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن علي (2001م). شرح المفصل، قدم له، الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 5، ص: 49.

ومن المزج كذلك الذي افتتح به عبد الحميد الكاتب بعض رسائله ما جاء في قوله: " إياك وأن يظهر منك تبرم بطول مجلسك وتضجُّرٌ ممّن حَضَرك، وعليك بالتثُّبتِ عند سَوْرةِ الغضب، وحميَّة الأنفِ وملال الصبر، في الأمر تستعجلُ به، والعمل تأمرُ بانفاذه، فإن ذلك سخفُشائن وخفَّةٌ مُردِيةٌ، وجهالةٌ بادية"[1].

يتحدث الجزء السابق من الرسالة عن آداب الوالي في الحديث والسؤال، ولقد جعل عبد الحميد الكاتب من طريقة النهي والتحذير في هذه الرسالة وسيلة مبتدعة في مخاطبة المتلقي، وأوجد نوعاً من النصح القائم على التحذير، فهو يخاطب الأمير هاهنا، ويبين له الكيفية التي يجب أن يقوم عليها تعامله مع جلسائه في الحديث مثلاً، أو المجلس بصفة عامة، وقد جعل من التحذير الذي يحمل معنى الأمير وسيلة مباشرة لبيان ذلك للمتلقي، ومخاطبة الأمير به.

إن عناية الكاتب بالأسلوب الإنشائي ضمن رسالته السابقة جعل العبارة ترتبط بالنحو من جهة، وبالبلاغة من جهة ثانية، كما جعل من هذا التداخل والارتباط وسيلة لإظهار مقدار المعنى المتمثل بعناصر التركيب جميعها، واستند في نهاية المطاف إلى قدرته الإبداعية على تلاشي الحدود الفاصلة بين العلوم، والوصول إلى مقدار متناسب من التماسك بين هذين العلمين، مما يوحي بالبينيّة الحاضرة بينهما، فقوله: إياك، تعني: احذر إياك، وفقاً لما يقوله النحاة[2].

ومن مظاهر الإنشاء المختلفة وأساليبه التي يركز عليها الكتاب في أطرها البلاغية أسلوب النهي، ومن النماذج عليه ما جاء في رسالة لعبد الحميد الكاتب عبر استعمال أساليب الأمر بالفعل "اذهب"، والأمر بلام الأمر "ليكن"، فيتماسك مع أسلوب النهي لتحقيق الغرض المقصود: " وكذلك فليكن رأيُكَ وأمرك فيمن طرأ عليك من الوفود، وأتاك من الرُّسُل: فلا يصلنَّ إليك أحد منهم إلا بعد وصول علمه إليك، وعلم ما قَدِمَ له عليك، وجهة ما هو مُكَلِّمُكَ به، وقَدْرِ ما هو سائِلُكَ إيّاه إذا هو وصل إليك"[3].

---

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 231.

(2). انظر: البياتي، ظاهر شوكت (2005م). أدوات الإعراب، مجد المؤسسة الجامعية للنشر والإعلام، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، ص: 59.

(3). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 228.

ويتناول الجزء السابق من الرسالة الحديث عن كيفية التصرف مع الوفود والرسل، ولا يخفى على الناظر في تركيب هذه الرسالة وبنائها اللغوي أنّ الكاتب قد اعتمد فيها على أسلوب النهي، ومن ذلك(لا يكن، لا يصلن إليك) وهذا الأسلوب يعتمد اعتماداً كبيراً على النحو، انطلاقاً من كونه يتشكل من مكونات نحوية بحتة، بدءاً من "لا" الناهية، ثم الفعل المضارع المجزوم بعدها، والكاتب على معرفة دقيقة بتشكيل هذا الأسلوب ضمن إطار التراكيب النحوية السليمة، ويفترض بالمتلقي أنه على معرفة دقيقة، ودراية عميقة بمكونات علم النحو، ودلالاته، وأساليبه؛ إذ به تتحصل الغاية المرجوة، ويصل الكاتب لمبتغاه الدلالي، وهو ما بدا جلياً عبر الإفادة من هذه العلوم ضمن إطار التشكيل البلاغي، فالعبارة البلاغية هاهنا أفادت من علم النحو، وتمكن المتلقي من تصنيف هذه العبارة ضمن إطار الإنشاء الطلبي، وبالتالي فإن هذا الخطاب مرتبط بالبينيّة البلاغية، لما يحتويه من تداخل بين هذه العلوم – النحو والبلاغة –وتماسك عناصر الخطاب تبعاً لهذا التداخل بينهما، ما يؤيد كون هذه العلوم متماسكة ومتباينة القصد من تداخلها الوصول إلى أكبر قدر من الفائدة.

ومن مظاهر الإنشاء التي اعتمد عليها الكاتب في رسائله، ووظفها في سبيل إظهار الجانب البلاغي في نصوصه الدعاء، ومن النماذج على هذا الدعاء ما جاء في قوله: " والله المستعان عليهم، والمستنصر على جماعتهم، عليه يتوكَّلُ أمير المؤمنين، وإياه يستصرخ عليهم، وإليه يفوّض أمرهُ، وكفى بالله وليّاً وناصراً ومعيناً، وهو القوي العزيز "[1].

يقيم الكاتب نصه السابق على الدعاء، والدعاء نمط من الأمر، غير أنه يأتي على سبيل التلطف[2]، ويجعل من هذا الدعاء وسيلة لإظهار المعاني غير المباشرة المرتبطة بعلم البلاغة، والمختصة بالإنشاء، وذلك أنّ الإنشاء يأتي لدفع المتلقي نحو مزيد من التفاعل مع النص، خصوصاً إذا كان طلبياً، فإن فكرة الطلب تمنحه اتصالاً مباشراً بهذا المتلقي، وتجعله قادراً على اتخاذ الموقف المناسب من الخطاب، ولولا معرفة الكاتب والمتلقي نفسه بعلم النحو لما استطاعا فهم طبيعة الإنشاء، ولا مكانته

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 235.

(2). انظر: السكاكي. مفتاح العلوم، ج: 1، ص: 319.

التي يضطلع بها في سبيل إبداء المعنى، وتحقيق الدلالات المختلفة، وذلك انطلاقاً من طبيعة التركيب النحوي الدال على الدعاء، ومن هنا فإن امتزاج النحو بعلم البلاغة، وتلاشي الحدود الفاصلة بينهما، يمنح العبارة البلاغية قيمة دلالية مضافة، فهي تأخذ من علم النحو بطرف، ومن البلاغة بطرف آخر، وفي المحصلة فإننا أمام بينيّة بلاغية قيمة، يستفيد فيها الخطاب من العلوم المتداخلة، ليصل في نهاية الأمر إلى قيمته الفنية والدلالية المتميزة.

ويقدم عبد الحميد الكاتب مجموعة من الأوامر للأمير على سبيل النصيحة والإرشاد، خصوصاً في ما يتعلق بالعدو، يقول: " وابدأ بالإعذار إلى عدوّك،والدعاء لهم إلى مراجعة الطّاعة، وأمر الجماعة، وعُرى الألفةِ، آخذاً بالحجة عليهم، متقدماً بالإنذار لهم، باسطاً أمانك لمن لجأ إليك منهم، داعياً لهم إليه بأَلْيَنِ لفظِك، وألطفِ حيلتِك، متعطفاً عليهم برأفتك، مترفقاً بهم في دعائك، مشفقاً عليهم من غلبة الغواية لهم، وإحاطة الهلكة بهم"[1].

يتناول الجزء السابق من الرسالة الحديث عن الإعذار إلى العدو، وعند تدقيق النظر في النص السابق نجد أنه قد ابتدأ بالأمر، ثم تابع الكاتب تلك الأوامر بصيغ مختلفة، وأساليب متنوعة، وهو يقصد من هذا الأمر الالتماس، بمعنى أن الأمر خرج عن أساسه الذي وُضِع له في اللغة[2]، فهو في حقيقة الأمر يخاطب أميراً، ويطلب منه أن يتحلى بكل هذه الصفات في ارتباطه بعدوه، وعلاقته به، إذ إن هذه الأوامر المرتبطة بالالتماس مأخوذة من فعل الأمر الذي ينتمي للمستوى النحوي، والمرتبط بالجانب التركيبي في اللغة، وقد أتى به الكاتب ضمن إطار الإنشاء الطلبي، الذي هو جزء من البلاغة العربية، وعنصر من عناصر المعاني فيها، والقصد من هذا الإنشاء الطلب من المخاطب تحقيق هذا المطلوب، وبالتالي فهو مزج بين ما يشتمل عليه علم النحو من جهة، وعلم البلاغة من جهة ثانية للوصول إلى القيمة الدلالية المنشودة، والوقوف عند مكونات هذه الدلالة بما يناسب المعاني المضمنة لهذا الخطاب، وهو ما تنادي به البينيّة، وتسعى لتحقيقه عبر ربط العلوم المختلفة ببعضها، وصولاً إلى تلك النتائج.

---

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 238.

(2). انظر: الهاشمي. جواهر البلاغة، ج: 1، ص: 74.

ومن مواضع الأمر كذلك ما جاء في قوله: " فاعمل على حسب ذلك، وجنب ، وحيث رجاؤك به،تنل أَمَلَكَ من عدوك، وقوتك على قتاله (واحتيالك لإصابة غِرَّاته)، وانتهاز فرصه إن شاء الله"[1].

يتناول النص السابق جزءاً من الحديث في التحذير من معرفة العيون بعضهم لبعض، ويشتمل على أمر مباشر للأمير بما يجب أن يفعله مع العيون التي يُذكيها لأجل الخلاص من العدو، وما يترتب على فعل ذلك من نتيجة إيجابية، وقد مزج ذلك بعناصر العطف التي تُظهر مكونات الخطاب المتسلسلة الآخذة بالتماسك انطلاقاً مما تشتمل عليه من تتابع هذه الجمل، وتماسكها، الأمر الذي يمنحها مزيداً من الامتزاج بمكونات النحو، وهو ما يكفل لها دورها الدلالي المعتمد على سياق البينية، وبالتالي فقد اشتمل الكلام على أمر وجوابه، وهو مرتبط بعلم النحو، إذ يناقش النحو فكرة الأمر وجوابه، وأنه شبيه بالشرط، إذ يترتب على حصول الثاني وقوع الأول.

إن حضور الجوانب النحوية ضمن هذه الرسالة جعل منها وسيلة للوصول إلى عبارة متكاملة متماسكة، انطلاقاً من عناصر التركيب النحوي التي تكفل قيام العبارة بصورة صحيحة تركيبياً، وعناصر البلاغة التي تكفل للعبارة قيامها بصورة دلالية مناسبة وصحيحة.

ومن مواضع الأمر التي أتى بها الكاتب ضمن إطار الإنشاء ما جاء في قوله: " فوَّضْ إلى أمراء جُنْدِكَ وقوّادِ أمور خيلك امور أصحابهم، والأخذ على أيديهم، رياضة منك لهم على السمع والطاعة لأمرائهم، والأتباع لأمرهم، والوقوف عند نهيهم، وتقدَّم إلى أمراءِ الأجناد في النّوائب التي ألزَمْتَهُم إياها، والأعمال التي استنجدتهم لها، والأسلحة والكراع التي كتبتها عليهم"[2].

عند النظر في مطلع هذه الرسالة وبدايتها، نجد أن الكاتب قد بدأها بفعل الأمر "فوِّضْ"، وهو فعل أمر، يُقصد به الدخول إلى الإنشاء الطلبي، وهو على سبيل الالتماس من الكاتب للمخاطب، وليس على سبيل الأمر حقيقة، وقد أتى الكاتب بهذا الفعل لينقل الخطاب إلى الطبيعة الإنشائية الطلبية التي تستدعي مطلوباً عند الطلب،

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 243.

(2). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 251.

وتسترعي انتباه المتلقي وفهمه، وتأخذ شيئاً من إصغائه وذهنه، لتتحقق بذلك الغاية من هذا الخطاب التراسلي بينهما، وفعل الأمر أحد الموضوعات التي يناقشها علم النحو، وهو من علوم العربية، ولا بد منه في هذا الموضع، كي يمتزج مع موضوع الإنشاء المرتبط بالبلاغة العربية، لتتحقق الغاية الدلالية من هذا السياق البلاغي، ويتمكن الكاتب من إيصال ما استقر في ذهنه من كلام بليغ، وألفاظ فصيحة بديعة، للوصول إلى القيمة المقصودة من هذه الرسالة، عبر انسجام المعاني، وتماسك العلوم ببعضها، وهو ما تسعى البينيّة لإظهاره.

ومن مظاهر التحذير القائمة على أساس الأمر عند الكاتب ما جاء في قوله: " وإياك أن تقبل في دوابّهم إلا فرساً قوياً، أو برذوناً وثيجاً فإن ذلك من أقوى القوة لهم، وأعون الظّهْريَّ على عدوّهم إن شاء الله"[1].

لقد ابتدأ الكاتب رسالته السابقة بـ "إياك" وهو لفظ يفيد التحذير، ويأخذ على عاتقه الأمر، وذلك لأن التحذير نمط من أنماط الأمر في العربية، يقصد به تحذير المخاطب من عاقبة شيء ما، وبالتالي فلا بد من الوقوف على حقيقة هذا التحذير، ولا بد من الأخذ به، فهذا نمط من أنماط الإنشاء في العربية، ولا يمكن فهمه طبقاً لمعطيات الدلالة القويمة إلا عبر علم النحو، فالنحو هو الذي يناقش موضوعات التحذير والأمر وما شابهها، وبالتالي فإن المعرفة الدقيقة بعلم النحو هي التي دفعت بالكاتب للإفادة من عناصر الإنشاء المختلفة، وقدرته على توجيه تلك الأساليب الإنشائية هي التي منحت خطابه مزيداً من الانسجام والتماسك، وبالتالي تلاشت الحدود الفاصلة بين العلوم المختلفة، وتباعدت الفواصل التخصصية بينها، ليمنح الكاتب خطابه قدراً كبيراً من التماسك النصي، والتجانس البلاغي، حتى يصل إلى مبتغاه من تحقيق الفائدة وتقديم المعنى بأجل صورة، وهو ما تسعى له البينيّة في إطارها التطبيقي ضمن العلوم المختلفة.

ومن النماذج أيضاً ما جاء في قوله: " إياك أن يكونَ منزلك إلا في خندقٍ أو حصنٍ تأمنُ به بَيَاتَ عدوّكَ، وتستنيمُ فيه إلى الحزم من مكيدته، إذا وُضِعَتِ الأثقال وخُطَّتْ أبنيةُ أهل العسكر لم يُمددطُنُبُ ولم يُرْفَعُ خِباءٌولم يُنْصَبُ بناءٌ، حتى تقطع لكل قائد

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 254.

ذرعاً معلوماً من الأرض بقدر أصحابه، فيحفروه عليهم (خندقاً يُطيفونه)بعد ذلك بخنادق الحسك، طارحين لها دون أشتجار الرماح، ونصب الترسة"[1].

يخاطب عبد الحميد الكاتب في هذا الجزء من الرسالة الأمير الموكل بولاية العهد، ويبين له بعض ما يختص به القتال في سبيل الوصول إلى النصر والظفر، ويبين ضرورة اتخاذ الخنادق للعسكر، وقد بدأ هذا الكلام بلفظ التحذير، بقوله: "إياك"، وهي طريقة لطالما رأيناها عند عبد الحميد الكاتب، فهو يستعين بالتحذير وسيلة للتأكيد على ضرورة الشيء، وعدم اتخاذ موقف سلبي من الموضوع، فكان التحذير بقالبه النحوي اللغوي هو الوسيلة الأنجع والأنجح لتأكيد هذا المعنى، وبالتالي امتزجت البلاغة بمظهرها الإنشائي مع النحو بمظهره التركيبي، لتكون النهاية وفقاً لذلك على أجود صناعة، وأبرع طريقة، ويكون تداخل هذين العلمين طريقاً لمنح المعنى مزيداً من التماسك والانسجام.

ومن مواضع الأمر أيضاً ما جاء في قوله: " فاقرأْ على من قِبَلَك كتاب أمير المؤمنين إليك ليُسرَّ به جُندك ورعيتُك، ومن حمَّلَهُ الله النعم بأمير المؤمنين، ليحمدوا ربهم على ما رزق الله عباده من سلامة أمير المؤمنين في بدنه، ورأفته بهم، واعتنائه بأمورهم ، فإن زيادة الله تعلو شكر الشاكرين"[2].

ابتدأ عبد الحميد الكاتب رسالته السابقة بفعل الأمر "اقرأ" وهو خطاب على لسان هشام بن عبد الملك ليوسف بن عمر في تهنئته، وهو يطلب منه في خطابه السابق أن يقرأ هذا الكلام على من حوله، ليتحقق له غايته في إسعادهم بكتاب أمير المؤمنين، ورضاه عن يوسف بن عمر، فتتكامل له الأمور وتحسن له الوقائع، وهذا الكلام الذي بدأه الكاتب بفعل الأمر حضور للجانب النحوي التركيبي في سياق البلاغة، وحضور أيضاً لقوة العبارة البلاغية المرتبطة بعناصر النحو من جهة ثانية، ليصل بذلك كله إلى إفادة العلوم من بعضها في سبيل الوصول إلى غايته الإفصاحية.

وهكذا يظهر أن موضوع الإنشاء ضمن إطار البلاغة العربية موضوع ذو ارتباط وثيق بالنحو العربي، فما الأساليب النحوية، والأساليب الإنشائية إلا جزء لا يتجزأ من

---

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 257.

(2). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 276.

كيان النحو العربي، ومعرفة الكاتب والمتلقي بأساليب الأمر والتحذير وغيرها من الأساليب اللغوية الأخرى وسيلة لإظهار بلاغة القول، وفصاحة الخطاب، وإن تداخل هذه العلوم معاً يفضي إلى قيمة بينيّة إيجابية للوصول إلى الهدف المقصود من الخطاب الأدبي.

2.2: علاقة البلاغة بعلم الصرف:

تعد البلاغة ذات صلة وثيقة بعلم النحو وعلم الصرف، فإن لها أيضاً علاقة وثيقة كذلك بعلم الصرف، إذ لا شك أن اشتقاق الألفاظ، والمصادر بأنواعها، ومعاني الزيادات المختلفة لها دورها الوثيق في تشكيل البنية البلاغية للكلام، وهو ما يقصر المسافة بين هذين العلمين – علم الصرف وعلم البلاغة –ما يدخل هذا كله في إطار البينيّة البلاغية ضمن هذه الدراسة.

ويطلق على علم الصرف مصطلح المستوى الصرفي، ويقصد به ذلك المستوى الذي يتناول الحديث عن قضايا البنية اللفظية للكلام العربي، سواء من جهة الجمود والاشتقاق، أم من جهة التصرف من عدمه، أم من جهة المصادر بأنواعها، كما يتناول علم الصرف أيضاً الحديث عن الزيادات والحذف الطارئ على الألفاظ، وتوجيه ذلك من قبيل الجوانب الدلالية، ولا يبتعد الصرف كثيراً عن النحو، بل هو شريكه في إظهار الدلالات والمعاني، حتى إن المعنى الصرفي لا ينفك ارتباطه عن المعنى النحوي، فهما مكملان لبعضهما في جوانب المعنى، ويتوصل من خلالهما للدلالة المقصودة ضمن إطار البنية اللغوية للجملة[1].

ويتكون الصرف العربي "من مجموعة من البنيات الاشتقاقية وغير الاشتقاقية التي تتكون بدورها من مجموعة من المورفيمات اللغوية، وتتجاور هذه المورفيمات حتى تشكل مع بعضها عنصراً بنيوياً في الكلام، وبالتالي تتضح الدلالات عبر تجاور هذه الوحدات الكلامية المرتبطة ببعضها عبر عناصر الصرف المختلفة"[2].

(1). انظر: حسان. اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 146.

(2). انظر: بشر. دراسات في علم اللغة، ص: 201.

وتتأثر البلاغة العربية بعلم الصرف، وتلتقي معه في عدد من المظاهر، إذ تؤدي البنى الصرفية دورها البلاغي وفقاً لما تحمله من معنى، وتبعاً لما يترتب عليها من تشكيلات بنائية دلالية، ما يمنح الكلام رونقاً خاصاً، بمعنى أن هذا التداخل بين علمي الصرف والبلاغة ما هو إلا من صلب الدراسة البينيّة، وتتشكل المعاني والدلالات تبعاً لهذا النمط من الدراسة البينيّة، وستحاول هذه الدراسة الوقوف على بعض مظاهر التداخل بين الصرف والبلاغة فيما يُعرف بالبينيّة البلاغية وعلاقتها بعلم الصرف.

ولقد ظهرت البينية البلاغية مع علم الصرف عند عبد الحميد الكاتب ضمن الحقول الصرفية الآتية: التجرد والزيادة، والمصادر الصريحة، والمشتقات بأنواعها، وفيما يلي سنورد عدداً من النماذج التطبيقية على إفادة عبد الحميد الكاتب من علم الصرف في إيجاد بينية بلاغية بين هذين العلمين.

ومن النماذج على ذلك ما جاء في قول عبد الحميد الكاتب: " ثم آمن به وصدَّقه وعزَّزه ونصره، واتبع النور الذي أنزل معه، وهم يومئذ قليلون مستضعفون في الأرض، يخافون أن تتخطَّفهم الناس، كما وصفهم الله تعالى في كتابه"[1].

يستوقفنا في هذا النص من رسائل عبد الحميد الكاتب قوله: تتخطفهم الناس، وقد أشار في هذا الموضع إلى أن هذه الكلمة قد أُخِذت من القرآن الكريم، وهذه الصيغة فيها ما فيها من الإشارات الدلالية المرتبطة بعلم الصرف، فكلمة "تتخطف" تحمل نوعاً من الثقل المتأتي من تضعيف حرف الطاء، وتكرار حرف التاء، وهذا الثقل يتناسب مع طبيعة المعنى المرتبط بالخوف والتخطف وكثرة المحن التي تحيط بالمسلمين، فكانت هذه الصيغة الصرفية مناسبة لواقع الوصف الذي وصف به المسلمون ضمن هذا السياق، وبالتالي فلولا معرفة الكاتب بعلم الصرف، ومعرفة المتلقي بعلم الصرف كذلك لما استطعنا فهم هذه الصيغة بدلالتها المتميزة، ولما استفادت البلاغة العربية من هذا التشكيل الصرفي الإبداعي ضمن سياق الكلام، ومن هنا فقد تداخل علم الصرف بعلم البلاغة، وتلاشت الحدود الفاصلة بين هذين العلمين، وتقاربت المعاني، وهو ما تسعى البينيّة لإظهاره من خلال علومه المختلفة.

(1). عباس. عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 210.

ومن المواضع التي يظهر فيها أثر علم الصرف في البلاغة العربية، وما يترتب عليها من دلالات ومعانٍ، ما جاء في قول عبد الحميد الكاتب: " ولولا ما أمر الله تعالى به دالاً عليه، وتقدمت فيه الحكماء آمرين به: من تقديم العظة، والتذكير لأهل المعرفة، وإن كانوا أولى سابقةٍ في الفضل، وخصيصا في العلم، لاعتمد أمير المؤمنين منك على اصطناع الله إياك وتفضيله لك بما رآك أهله في محلك من أمير المؤمنين وسبقك إلى رغائب أخلاقه"[1].

وتستوقفنا في هذا النص مفردة "اصطناع"، وهي مصدر صريح من الفعل "اصطنع"، من صيغة "افتعل"، وهذه الزيادة التي طرأت على صيغة الفعل من قبل، وصيغة المصدر الصريح إنما جاءت لفائدة، وقصدها الكاتب في هذا الموضع، إذ يريد منها الإشارة إلى التدرج في الشيء، فكأن هذا الشخص المعني تدرج في صنع الله إياه، فأخذ كل شيء يمكن أن يحتاجه في هذه الدنيا، فكان بذلك اصطناعاً، وحين ينظر الناظر في هذه المفردة فإنه لا يدرك قيمتها البلاغية والدلالية إذا لم يكن على اطلاع وثيق بعلم الصرف، ومعرفته بدلالات الزيادة في صيغ الكلام المختلفة، مما يعني أن هناك تداخلاً واضحاً بين علمي الصرف والبلاغة، وتحقيق ذلك يفضي إلى تحقيق القيمة الإبداعية المميزة ضمن إطار هذه الصيغة.

ومن المواضع التي يظهر فيها مكانة الصرف في تركيب الجملة البلاغية ما جاء في قول لعبد الحميد الكاتب: " ثم تعهد نفسك بمجاهدة هواك، فإنه مغلاق الحسنات، ومفتاح السيئات، وخَصْمُ العقل، واعلم أن كلِّ أهوائك لك عدوٌّ، يحاول هلكتك، ويعترضُغفلتك، لأنها خُدع إبليس وخواتل مكره، ومصايد مكيدته، فاحذرها مجانباً، وتوقَّها محترساً منها، واستعذ بالله عزّ وجل من شرّها"[2].

يطالعنا في بداية هذه الرسالة قول الكاتب "تعهّد" وهذا فعل مزيد، أتى به الكاتب في هذه الرسالة بقصد استكناه ما فيه من مظاهر دلالية، فالزيادة التي يشتمل عليها هذا الفعل زيادة بمعنى، ألا وهي التدرج في الشيء، إذ يفهم المخاطب هذا التدرج بمجرد سماعه هذا الفعل، فإن تعهد النفس مرة بعد مرة يكسبها بعداً عن الهوى، ويمنحها قرباً

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 216.

(2). عباس. عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 220.

من الالتزام، وهذه ثمرة التدرج المتحصلة من هذه الزيادة الصرفية التي طرأت على هذا الفعل، وبناء على ذلك استطاع الكاتب إفهام المتلقي بقيمة هذا التدرج، ومنحه إيحاءً نحوياً يمثل القيمة الصرفية التي يحتاجها الكاتب والمتلقي لفهم هذه العبارة البلاغية.

كما اشتملت الرسالة السابقة على صيغة من صيغ المشتقات ذات دلالة قيمة، ألا وهي صيغة اسم الآلة في قوله:" مِغلاق السيئات، ومِفتاح الحسنات"، فربط هذه الصيغة بالسيئات والحسنات، بقصد الوصول إلى القيمة الصرفية المرتبطة بصيغة اسم الآلة، وتمكينها من إضافة معنى جديد للجملة البلاغية، وإظهار ما فيها من عناصر المعنى المرتبط بالصيغة ذاتها، والمتماسك مع كينونتها البلاغية، بما فيها من مظاهر صرفية وأخرى بلاغية، كما لا نُغفل الحديث عن المقابلة بين الأضداد في نص الرسالة: مغلاق يقابلها مفتاح، والسيئات يقابلها الحسنات، وهذه المقابلة التضادية جزء من علم البديع في البلاغة العربية، ولها دورها في تشكيل البنية الجمالية للخطاب، وهو ما يشكل البينيّة البلاغية بين هذين العلمين، فقد تلاشت الحدود الفاصلة بين علم الصرف من جهة، وعلم البلاغة من جهة أخرى حتى وصل الأمر عند هذه العبارة البلاغية المتماسكة والآخذة من كل علم بطرف.

ويمكن أن نلحظ اشتمال هذه الرسالة على توازٍ صرفي أفقي تمثل بالسلسلة الكلامية الآتية:

مغلاق الحسنات.

مفتاح السيئات.

يتكون كل طرف من طرفي السلسلة الكلامية السابقة من عنصرين اثنين هما: اسم آلة، وجمع مؤنث سالم، بينهما علاقة المضاف والمضاف إليه، وهو نمط من التوازن الصرفي من جهة، والتوازي التركيبي الأفقي من جهة ثانية، الأمر الذي يقوي جمال هذه العبارة ويضفي عليها مزيداً من الإبداع.

ويعتمد عبد الحميد الكاتب على هذا الفعل "تعهد"، فنجده يذكره ويستعمله في غير موضع من رسائله، ومن ذلك ما جاء في قوله: " وتعهد العامة بمعرفة دخلهم وتبطن أحوالهم واستثارة دفائنهم، حتى تكون منها على مرأى العين، ويقين الخبرة"[1].

لقد استعمل الكاتب الفعل "تعهد" السابق في موضع يتحدث فيه عن الرعية، ويخاطب الأمير بما يناسب هذه الفكرة، فإن هذا الفعل المزيد أتى لفائدة بلاغية يقصدها المخاطب، ألا وهي التدرج والمتابعة، فمعنى "تعهد" التزام النظر في الشيء مرة بعد مرة، وهو ما قصده الكاتب في نص رسالته السابقة، وبيّن أن هذا التعهد يكون للعامة، ليصل إلى تحقيق مراده في العناية بهذه العامة، ولقد أفاد الكاتب من علم الصرف في هذا النص البليغ، ووظف ما فيه من معطيات الزيادة على الفعل لما فيها من دلالات بلاغية، وصيغ صرفية ذات قيمة مميزة، حتى امتزجت البلاغة بالصرف، وتباعدت الحدود الفاصلة بين هذين العلمين، فكان ذلك تطبيقاً عملياً لما تتناوله البينيّة في إطارها التطبيقي، وجانبها الأدائي، انطلاقاً من ربط هذا العلم بذاك.

ومن ذلك ما يختص بتناوب الصيغ الصرفية، فتأتي مثلاً صيغة اسم الفاعل نيابة عن غيرها وبمعنى غيرها، ومن النماذج على ذلك ما جاء في قوله: " وإن كرهت قضاء حاجتهِ، وأحببتَ ردَّه عن طَلَبِتِهِ، وثقُل عليك إجابته إليهاوإسعافه بها، أمرت كاتبك فصفحه عنها، ومنعه من مواجهتك بها، فخفت عليك في ذلك المؤونة، وحسن لك الذكر، وحُمِلَ على كاتبك لائمة أنت منها بريءُ الساحة"[2].

تستوقفنا في هذه الرسالة لفظة صرفية فيها تناوب بينها وبين الصيغ الصرفية الأخرى، وهي قوله: لائمة أنت منها بريء الساحة، وهذه الكلمة "لائمة" جاءت على صيغة اسم الفاعل، في حين أن دلالتها مرتبطة بالمصدر، فتقدير الكلام، "لوماً أنت منه بريء الساحة، فاللائمة لا تلوم هي، بل الشخص هو اللائم، وبالتالي فإن دلالة المصدر أولى من دلالة اسم الفاعل، بمعنى أن صيغة اسم الفاعل في هذا السياق دالة على معنى المصدر، وهو تناوب بين الصيغ الصرفية في سبيل الوصول إلى المعنى

---

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 332، ومن المواضع كذلك التي ورد فيها هذا الفعل ص: 220، 221، 289، وغيرها.

(2). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 226 – 227.

الأجود والأفضل، وقد قصد الكاتب أن يأتي بصيغة اسم الفاعل يُشعر المتلقي كأن اللوم آتٍ بذاته لا بفعل غيره، وذلك عبر صيغة اسم الفاعل، وفي الحقيقة فدلالة المصدر واضحة المعالم ضمن هذا الإطار، من هنا يبرز الأثر الصرفي في تشكيل بنية العبارة البلاغية، وذلك انطلاقاً من طبيعة التعالق بين علمي الصرف والبلاغة، فلولا معرفة الكاتب والمتلقي على حد سواء بما تحمله هذه الصيغ الصرفية من تحولات لما استطاع أن يفهم سياق الكلام، ولا يعي القيمة البلاغية المرتبطة بعلم الصرف، فتداخل العلوم منح العبارة مزيداً من البينيّة، وجعلها أكثر عمقاً واتساعاً في المعنى والدلالة.

ومن المواضع الصرفية التي ناسب فيها الكاتب بين مواضع الاشتقاق المختلفة ما جاء في قوله: "ويا هناه أو لا ترى، أو ما يُله جبه من هذه الفضول المقصرة بأهل العقل، الشائنةِ لذوي الحجى في المنطق، المنسوبة إليهم بالعِيِّ،المردية لهم في الذّكر "[1].

اعتمد الكاتب في هذا النص من رسالته على عدد من المشتقات وهي: مقصرة، شائنة، المردية، وهي مشتقات صرفية لها دلالاتها الخاصة، وقيمتها في تركيب الكلام، فهي من أسماء الفاعلين وبالتالي فهي تحمل الدلالة على من قام بالفعل، ولقد اعتنى الكاتب بهذه التراكيب الصرفية، وبنى عليها سياقه البلاغي، فإن تعاقب هذه المشتقات في إطار التركيب اللغوي السليم من شأنه أن يزيد في أثر البلاغة في النفس، وتأثير سياقها في المتلقي، وصولاً إلى ما يود الكاتب إيصاله لهذا المتلقي من العبارة الرقيقة، والألفاظ الدقيقة، ولقد بدا علم الصرف إلى جوار البلاغة ضمن هذا التركيب، فأفاد من هذا ومن هذا، فخرجت هذه الرسالة متداخلة العلوم، فهي نمط تمثيلي على البينيّة البلاغية، وإشارة للقيمة الجمالية الإبداعية الناشئة من تداخل هذين العلمين معاً، وإفادة النص البلاغي من علم الصرف لأجل تشكيل منطقي سليم وقويم للبلاغة العربية.

ويمكن أن نلحظ اشتمال هذه الرسالة على توازٍ صرفي أفقي تمثل بالسلسلة الكلامية الآتية:

المقصرة بأهل العقل.

---

(1). عباس. عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 232.

الشائنةِ لذوي الحجى في المنطق.
المنسوبة إليهم بالعِيّ.
المردية لهم في الذّكر.

يشتمل كل طرف من أطراف السلسلة الكلامية السابقة على مجموعة متناسبة من الألفاظ الصرفية، إذ تبدأ كل منها بمشتق من المشتقات: المقصرة، الشائنة، المنسوبة، المردية، ثم يأتي بعدها جار ومجرور، ثم اسم صريح في بعض الأحيان، وهو ما منح هذه الرسالة قدرا موسيقياً مميزاً نابعاً من وجود هذه العلاقات المتوازية في الكلام، والمرتبطة بالنواحي الصرفية، والجوانب الاشتقاقية ضمن هذه الرسالة.

ومن المظاهر الصرفية كذلك ما جاء في قوله: " متبعاً لأمره، مجتنباً لسخطه محتذياً لسُنَّتِهِ والتوقّي لمعاصيه في تعطيل حدوده أو تعدِّي شرائعه، متوكلاً عليه فيما صمدت له، واثقاً بنصره فيما وجّهْتَ نحوه، متبرئاً من الحول والقوة فيما نالك من ظَفَر وتلقاك من عزّ، راغباً فيما أهاب بك أمير المؤمنين إليه من فضل الجهاد ورمى بك إليه"[1].

يمثل النص السابق إفادة واضحة المعالم من علم الصرف بالنسبة لعبد الحميد الكاتب، فقد ركز اهتمامه في تشكيل هذه العبارات، وتكوين هذه الرسالة على أحد المشتقات بقصد الوصول إلى قيمته البيانية المرتبطة بالدلالة على الجذر الذي اشتُق منه، ألا وهو اسم الفاعل، فقد كرره الكاتب أكثر من مرة، ومنها: متبعاً، مجتنباً، محتذياً، متوكلاً، واثقاً، متبرئاً، وهذه الألفاظ كلها من أسماء الفاعلين، لها دلالتها على من قام بالفعل، ودلالتها على معنى الجذر الأصلي المتمثل بالمعنى الذي اشتق منه، ولقد جعل الكاتب من اسم الفاعل في هذا النموذج حيزاً لإظهار المعاني المنوطة به، وهي معانٍ مرتبطة بسياق الحديث عن الجانب الحربي من العهد إلى قائد الجند، وإبراز الدلالات البلاغية المرتبطة بمكوناته، قاصداً الوقوف على العلاقة الوثيقة بين هذه المشتقات من جهة، والمعنى البلاغي من جهة ثانية، للوصول في نهاية الأمر إلى قالب بلاغي رصين، يستفيد فيه الكاتب من معطيات علم الصرف كفائدته من معطيات علم البلاغة، للوصول إلى البينيّة البلاغية المرتبطة بعناصر هذا الخطاب

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 235.

ومكوناته، والإفادة من العلوم بامتزاجها وتداخلها معاً للوصول إلى هذا الهدف المرتبط بالجانب الدلالي والمعنوي.

ويمكن أن نلحظ اشتمال هذه الرسالة على توازٍ صرفي أفقي تمثل بالسلسلة الكلامية الآتية:

متبعاً لأمره.

مجتنباً لسخطه.

محتذياً لسُنَّتِهِ.

متوكلاً عليه فيما صمدت له.

واثقاً بنصره فيما وجّهْتَ نحوه.

متبرئاً من الحول والقوة فيما نالك من ظَفَر وتلقاك من عزّ.

راغباً فيما أهاب بك أمير المؤمنين إليه من فضل الجهاد.

عند النظر في هذه السلسلة الكلامية نجد أن كل طرف من أطرافها يبدأ باسم الفاعل، ثم يليه شبه جملة من الجار والمجرور، ثم تكملة الجملة، وهو ما منح الرسالة توازياً أفقياً تركيبياً، كان الاعتماد الأكبر فيه على الصيغ الصرفية، وتحديداً صيغة اسم الفاعل التي منحت العبارة قوة تأثيرية مضافة لقيمتها الجمالية.

ومن المشتقات ما دخل فيها المبالغة في الكلام، ومن النماذج التي أفاد من خلالها عبد الحميد الكاتب من هذه المبالغة ما جاء في قوله: " ثم خذ من معك من تُبَّاعك وجندك بكفِّ معرَّتهم، وردَّ مُستعلي جورهم، وإحكام خللهم، وضمَّ منتشر قواصيهم، ولمِّ شعث أطرافهم،وتقييدهم عمَّن مرُّوا به من أهل ذمَّتك وملتك"[1].

تستوقفنا كلمة "تُبّاعك"، وهي صيغة تحمل معنى المبالغة الآتي من طبيعة التشديد الداخل على هذه الكلمة، فكلمة "تُباع" إنما هي جمع "تُبّع" أو "تابع"، وقد حملت معنى المبالغة الآتي من التشديد المرتبط بأحد حروفها، وهو الباء، إذ يوحي هذا التشديد للمتلقي بأن الكلمة فيها من المبالغة ما فيها، ومن التكثير ما فيها، فأوحى الكاتب لهذه المعاني البلاغية عبر هذه الصيغة الصرفية.

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 235.

فالحضور الصرفي في بناء العبارة البلاغية السابقة أفضى إلى نتيجة تشاركية بين علمي البلاغة والصرف حتى يتمكن الكاتب من إقامة نص متكامل متماسك.

ويجيد عبد الحميد الكاتب استعمال المصادر الصريحة، وتتابعها في سياق الكلام وصولاً إلى نسق بليغ من الكلام العربي، يقول مثلاً: " ومن أي الوجوه مأتاهم:أَمِنْ قِبَلِ الشدة والمنافرة والمكيدة والمباعدة والإرهاب والإيعاد، أو الترغيب والإطماع؟ متثبتاً في أمرك، متخيّراً في رويّتك، متمكناً من رأيك، مستشيراً لذوي النصيحة الذين قد حَنَّكَتْهُمْ(السنّ وخبطتهم) التجربة، ونَجَّذَتْهم الحروب"[1].

يتحدث الكاتب في هذا النص عن كيفية التعامل مع العدو بعد إذكاء العيون فيهم، وكيفية معرفة الطريقة المناسبة لإتيانهم، فأورد الكاتب عدداً من المصادر الصريحة المتتابعة التي تمكن من خلالها من منح المعنى مقداراً واسعاً من الدلالة، وتركيزاً أكبر في ذهن المتلقي، فإن قوله: الشدة والمنافرة والمكيدة والمباعدة والإرهاب والإيعاد، أو الترغيب والإطماع"، فهذه كلها مصادر صريحة، حملت من المعنى ما أراده الكاتب، وحققت نمطاً من البلاغة المرتبطة بعلم الصرف، والمنتمية للمصادر الصريحة، التي استطاع الكاتب من خلالها الوصول إلى نص أكثر عمقاً، وأوسع أثراً، وأقوى بلاغة في نفس المتلقي، وهو ما يسعى لتحقيقه عبر مكونات الصرف من جهة، والبلاغة من جهة أخرى، باعتبار إلغاء ما استطاع من الحدود الفاصلة بين هذه العلوم، وهو ما تسعى البينيّة لتحقيقه.

ويمكن أن نلحظ اشتمال هذه الرسالة على توازٍ صرفي أفقي تمثل بالسلسلة الكلامية الآتية:

أَمِنْ قِبَلِ الشدة والمنافرة والمكيدة والمباعدة والإرهاب والإيعاد، أو الترغيب والإطماع.

إذ يبدأ كل طرف من أطراف السلسلة الكلامية بوحدة كلامية مشتركة وهي: أمن قبل...، ثم يأتي بعدها المصادر الصريحة التي ارتبطت ارتباطاً مباشراً بهذه الصيغة التركيبية، واعتنى فيها الكاتب برصد عناصر التوازي الصرفية المبني على المصادر الصريحة، وصولاً في نهاية المطاف إلى هذا الخطاب الجمالي المرتبط بعناصر التوازي الصرفي الأفقي.

---

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 239.

ويقول عبد الحميد الكاتب في موضع آخر: " فليكن من تُوَلّيه القضاء بين أهل العسكر من ذوي الخير في القناعة والعفاف والنزاهة والفهم والوقار والعصمة والورع، والبصر بوجوه القضايا ومواقعها، قد حنَّكته السنّ وأيَّدته التجربة وأحكمته الأمور، ممن لا يتصنَّعُ للولاية، ويستعدّ للنُّهزة، ويجترئ على المحاباة في الحكم والمداهنة في القضاء، عدل الأمانة، عفيف الطعمة، حسن الإنصات، فهم القلب، ورع الضمير، متخشَّعَ السّمتِ، بادي الوقار، محتسباً للخير"[1].

عند تأمل هذا الخطاب نجد أنه قد أفاد من علم الصرف عبر توالي المصادر الصريحة من جهة، والصفات المشبهة من جهة ثانية، ليستفيد من هذه العناصر الصرفية في بناء الكلام، وتركيب الخطاب البليغ وفقاً لما يريده الكاتب والمتلقي، فقد توالت المصادر في قوله: القناعة والعفاف والنزاهة والفهم والوقار والعصمة والورع والبصر، فهذه كلها مصادر توالت بعد كلمة "ذوي" بمعنى أن من يتولى القضاء في الجيش يجب أن يتصف بكل هذه الصفات، وكان هذا التركيب بليغاً رصيناً آخذاً من الصرف بطرف، ومن البلاغة بطرف آخر، ثم توالت الصفات المشبهة لمن يتولى القضاء، فذكر الكاتب: عدل الأمانة، عفيف الطعمة، حسن الإنصات، فهم القلب، ورع الضمير، متخشَّعَ السّمتِ، بادي الوقار، محتسباً للخير، فهذه أيضاً صفات مشبهة أراد الكاتب إظهارها في من يتولى القضاء، ركّز عليها، وأتى بها وفقاً لصيغة صرفية واحدة، وتبعاً لقياس صرفي مناسب، تتوالى فيه الصفات المشبهة للوصول إلى التركيب البليغ، وتحقيق المعنى منسجماً مع علمي البلاغة من جهة، والصرف من جهة ثانية.

وفي موضع آخر يقول عبد الحميد الكاتب: " ثم انتخب للولاية عليهم رجلاً بعيد الصوت، مشهور (الاسم، ظاهر)الفضل، نبيه الذكر، له في العدوّ وقعات معروفات وأيامٌ طوالٌ، وصولاتٌ متقدمات، قد عُرِفَتْ نكايته، وحُذِرَتْ شوكته، وهيب صوتُهُ، وَتُنُكِّبَ لقاؤُه، أمين السّريرة، ناصح الجيب، قد بلوت منه ما يُسَكِّنُكَ إلى ناحيته، من لين الطاعة، وخالص المودّة، ونكاية الصرامة، وغُلوب الشهامة، واستجماع القوة وحصافة التدبير"[2].

---

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 245 – 246.

(2). عباس. عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 248.

يذكر الكاتب في نص الرسالة السابق صفات القائد الذي يجب أن يضعه الأمير لطلائع الجيش، ويبين ما يجب أن يتحلى به من الصفات، واعتمد الكاتب في بعض تلك الصفات على البناء للمجهول في تشكيل التراكيب اللغوية، والوصول إلى المعاني الدقيقة، فقد ذكر الأفعال: عُرِفت، حُذرت، هيب، تُنُكِّب، فهذه كلها أفعال ماضية جاء بها الكاتب ليشير إلى عظمة ذلك القائد، وهيبته في مقابل العدو، فما البناء للمجهول في هذه الأفعال إلا للدلالة على قوة هذا القائد، فكأن من يخافه ويحذره ويخاف منه كثر حتى إنهم لا يُعلَم لهم عددٌ، ولا يُعرف قريبهم من بعيدهم، فكان البناء للمجهول فيه من التعميم ما فيه، وهو الذي اختاره الكاتب هاهنا للوصول إلى هذا التعميم، والوقوف عند هذا النمط من التركيب الصرفي المنسجم مع الدلالة البلاغية التي يريدها الكاتب، ويطمح إليها في نصه السابق، بمعنى أنه يمزج بين الصرف والبلاغة في سبيل الوصول لغايته الدلالية، وقيمته البلاغية، ولا يتأتى ذلك إلا عبر هذه المكونات المتماسكة بين علمي الصرف والبلاغة، حتى يأخذ من كل فن بطرف، ويتمكن من الوصول إلى العبارة البليغة، والكلمة الفصيحة دون عناء أو تعب، وهو ما تطمح إليه البينيّة في دراساتها القائمة على تضييق الحدود الفاصلة بين العلوم المختلفة.

ويمكن أن نلحظ اشتمال هذه الرسالة على توازٍ صرفي أفقي تمثل بالسلسلة الكلامية الآتية:

عُرِفَتْ نكايته.

حُذِرَتْ شوكته.

هيب صوتُهُ.

تُنُكِّبَ لقاؤُه.

إذ يتكون كل طرف من أطراف هذه السلسلة الكلامية من فعل ماضٍ مبني للمجهول، يليه نائب للفاعل، وذلك مكرر في كل طرف من هذه الأطراف، مما خلق توازياً أفقياً صرفياً، منح الرسالة مزيداً من التماسك والاندماج بقضايا البلاغة باعتبار التأثر والتأثير في تشكيل مكوناتها، وإظهار عناصرها.

ومن المواضع أيضاً ما جاء في قوله: " اجعل خلْفَ ساقَتِكَ رجلاً من وجوهِ قُوّادك، جليداً ماضيا عنيفاً صارماً، شَهْمَ الرأي، شديد الحذر، شكيم القوة، غير مُدَاهِنٍ في

عقوبة، ولا مهين في قوة، في خمسين فارساً من خيلك،يَحْشُرُ إليك جندَكَ، ويُلْحِقُ بك من يتخلف عنك، بعد الإبلاغ في عقوبتهم، والنَّهْكِ لهم، والتنكيل بهم"[1].

يشتمل هذا الجزء من رسالة عبد الحميد الكاتب على وصف لمن يجعل خلف الساقة، ولقد أتى الكاتب بمجموعة من الصفات المتتالية لهذا الشخص، وهي كلها من قبيل الصفة المشبهة، وقد توالت هذه الصفات في إطار من التوكيد الاشتقاقي على ما يتوجب على الأمير فعله مع هذا الرجل، وكيفية اختياره، فإن هذه الصفات التي توالت في شخصيته لا بد أن تؤخذ بعين الاعتبار، وهذا المعنى المنوط بهذا الجانب الدلالي يعتمد اعتماداً كبيراً على علم الصرف.

لقد منحت الصيغة الصرفية المرتبطة بالصفة المشبهة الكلام قدراً كبيراً من التماسك والامتزاج الدلالي مع المقصود البلاغي من هذه الرسالة، والغاية الدلالية التي يسعى الكاتب لتحقيقها والوقوف عند جزئياتها المناسبة.

ويقول عبد الحميد الكاتب واصفاً الفرسان الذين يجب على القائد اختيارهم في المعركة: " ليكن أولَ ما تتقدَّمُ في التهيّؤ لعدوّك، والاستعداد للقائه، انتخابُكَ من فرسان عسكرك، وحماةِ جندك، ذوي البأسِ والحنكة، والجَلَدِ والصرامة، ممن قد اعتاد طِراد الكُماة، وكشَّر عن ناجذه في الحرب، وقام على ساق في منازلة الأقرانِ، ثَقف الفروسية، مستجمع القوة، مُسْتَحْصِدَ المريرة، صبوراً على أهوال الليل، عارفاً بمناهز الفُرصِ، لم تُمْهِنْهُ الحُنْكَةُ ضعفاً، ولا بلغت به السنُّ كلالاً، ولا أسكرته غِرَّةُ الحداثةِ جهلاً، ولا أبْطَرَتْهُ نَجْدَهُ الأغمارِ صَلَفاً، جريئاً على مخاطرة التَّلَفِ، مُقْدِماً على ادّراعِ الموتِ، مُكابراً لمرهوب الهَوْلِ، متقحماً مخشيَّ الحُتُوفِ، خائضاً غَمَراتِ المهالك، برأي يؤيدُهُ الحزم، ونيَّةٍ لا يُخَالِجُها الشكُّ، وأهواءٍ مجتمعةٍ، وقلوب مؤتلفة، عارفين بفضل الطاعة وعزَّها وشرفها، وحيث محلُّ أهلها من التأييد والظفرِ والتمكين"[2].

عند النظر في هذا الجزء من الرسالة نجد أن الكاتب قد ركز فيه على تتابع الصفات المشبهة كي يمنح المتلقي فهماً دقيقاً بما تشتمل عليه تلك الصفات من توصيف بليغ لهؤلاء الفرسان، فالطبيعة البلاغية التي تكونت منها هذه العبارات منح

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 254.

(2). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 260 – 261.

المعنى مزيداً من الدقة، اعتماداً على تتابع هذه الصفات، فكأن الكاتب يرسم صورة دقيقة لأولئك الفرسان، ويقدم نمطاً واضحاً لطبيعة تكوينهم، ومكونات شخصيتهم، وهذه الصفات المشبهة المتتابعة من شأنها أن تكون سياقاً مباشراً لتحقيق الدلالة المنوطة بالنص البلاغي، والقيمة المعنوية المرتبطة بهذا الخطاب، أي إن امتزاج البلاغة بالصرف هاهنا امتزاج عضوي مباشر ودقيق، اتخذت منه هذه الرسالة انسجاماً وتماسكاً انطلاقاً من القيمة التداخلية الآتية من البلاغة من جهة، ومن الصرف من جهة أخرى.

ومن المواضع كذلك ما جاء في قوله: " وإني أخبر أمير المؤمنين أنا خرجنا إلى الصيد بأعدى الجوارح، وأثقف الضَّواري أكرمها أجناسا وأعظمها اجساما، وأحسنها الوانا، وأحدَّها أطرافا، أطولها أعضاء"[1].

يُلاحظ من خلال النص السابق أن عبد الحميد الكاتب قد اعتنى بصيغة التفضيل: (أحسن، أطول، أعدى)، أثقف، وغيرها من صيغ التفضيل التي ذكرها الكاتب، وهو عند استعماله لهذه الصيغة الصرفية قصد الوصول إلى الغاية البلاغية المرتبطة بها لتفضيل ما معهم من الجوارح والضواري والخيل، والرماح، والأسلحة بأجود ما تكون، وأحسن ما عليه حالها، فأفاد من صيغة التفضيل كي يمنح المتلقي شعوراً بقدرة هذه الأسلحة التي بين أيديهم، ومكانة تلك الرحلة للصيد في نفوسهم، حتى يُثبت للمتلقي أن تلك الرحلة كانت بأحسن حال، وأوفر ما يكون عليه الصيد، وهو ما جاء به الكاتب ضمن إطار علم البلاغة من جهة، وعلم الصرف من جهة ثانية، فقد استطاع الاستفادة من معطيات علم الصرف للوصول إلى غايته البلاغية الإفصاحية، وتحقيق مكانته الفنية الإبداعية بمزج هذه العلوم، والوصول إلى تشكيل منسجم للألفاظ والمعاني والدلالات.

ومن توالي المشتقات في الكلام ما جاء في قول عبد الحميد الكاتب في وصف الإخاء: " فكان أكهفَ لَجَأ، وأحرزَ حَصْن، وأحصف جُنَّة وأعون ظهير، وأبقى ذخيرة، وأعظم فائدة وأشرف كنز، وأفخر صنيعة، وآنق منظر، وأينع زهرة ، أكثر الأشياء ريعاً وأنماها وصلا، وأمدها سبباً، وأقواها أيْداً، وأحلاها ذوقاً، وأدعمها ثباتاً، وأرساها ركناً،

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 269.

لا يدخل مستحقها سآمةُ مَلال، ولا كَلال مهنة، ولا تثبيط وَنْية، ولا ضعف خور، لنزول بائقة، أو طروق طارقة، من عوارض الأقدار، وحوادث الزمان، بل مُواسيا في إزَمها، متورطاً غمرا تقُحمها، متدرعاً هائلَ بواثقها، مستلحماً نواظر مقاطعها، حتى تصير به الأقدارُ إلى تَنَاهيها"[1].

عند النظر في نص الرسالة السابق لعبد الحميد الكاتب نجد أنه قد والى بين الألفاظ المتمثلة باسم التفضيل، وذلك في وصف الإخاء، قاصداً من هذا التوالي والتتابع الوصول إلى إشعار المتلقي بقيمة هذا الموصوف، وقوة الدلالة المرتبطة بعناصر التفضيل، وإخباره بما اتصف به من صفات كثيرة وعميقة ودقيقة، وذلك عبر التركيز على صيغة اسم التفضيل، وتوظيفه توظيفاً بليغاً ضمن إطار السياق البلاغي المنوط بعناصر المعنى ومكونات الدلالة، للوصول في نهاية المطاف إلى تحقيق هذا القدر من التماسك والانسجام بين معطيات الخطاب، وبلاغة الألفاظ، ودقة المعنى والدلالة، وقد تأتى ذلك من معرفة دقيقة بعلم الصرف، وتوظيف لبعض مكوناته وعناصره، للوصول إلى كل هذا المستوى من الدلالة المتماسكة، والوقوف عند حدود قيمتها البلاغية المتماشية مع مكونات الخطاب اللغوية الأخرى، ومن أهمها علم الصرف.

ويمكن أن نلحظ اشتمال هذه الرسالة على توازٍ صرفي أفقي تمثل بالسلسلة الكلامية الآتية:

أعدى الجوارح.

أثقف الضَّواري.

أكرمها أجناسا.

أعظمها أجساما.

أحسنها الوانا.

أحدَّها أطرافا.

أطولها أعضاء.

يظهر من خلال السلسلة الكلامية السابقة أنها قد تكونت من اسم التفضيل "أفعل" ثم إن أول طرفين منها أضيف فيهما إلى هذا الاسم، ثم جاءت الأطراف الأخرى باسم

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 277.

تفضيل يليه تمييز منصوب، وفي الحالتين لم يخرج التوازي عن كونه توازياً صرفياً أفقياً، وهو ما منح العبارة مزيداً من الجمال، وأعطاها قدراً كبيراً من التفوق الدلالي والبلاغي وفقاً لما ظهر في نص الرسالة السابقة.

وبعد هذا العرض لمجموعة النماذج يتبين أن البلاغة العربية تأخذ بعدد من المظاهر الصرفية لتشكيل المعاني، وإظهار الدلالات، ويظهر ذلك من خلال معاني الزيادات التي تطرأ على الكلمات، ومن خلال عناصر الاشتقاق ودلالاتها في سياق الكلام، وتوالي المشتقات أو الصفات، واستعمال أساليب التفضيل المختلفة، فكل هذه المظاهر الصرفية تسهم إسهاماً مباشراً في تحقيق المعنى المرتبط بسياق الكلام، وتوضيح الدلالة المتماسكة والمنسجمة مع الخطاب البلاغي، وإن المعرفة بعلم الصرف تفضي إلى نتائج إيجابية في فهم العلاقة بينه وبين علم البلاغة، ضمن إطار البينيّة البلاغية.

3.2: البلاغة وعلم الأصوات:

يعد علم الأصوات جزءاً مهماً من أجزاء البنية اللغوية للعربية، انطلاقاً من كون هذا العلم يتناول الجانب المنطوق من الكلام العربي، ويسعى لإبراز ما تتصف به مكونات العربية من صفات صوتية، وطبيعة لغوية.

ويتناول المستوى الصوتي في اللغة العربية الحديث عن أصوات اللغة، من جهة مخارجها، وصفاتها، وطبيعتها النطقية، كما يتناول الحديث عن تأثيرها بعضها في بعض، وما يترتب على تجاور الأصوات من تغير في البنية الصوتية للكلمة، ويهتم علم الأصوات بالبحث في طبيعة البنية الصوتية للكلمة العربية، وما يدخلها من قوانين التطور الصوتي، وتأثير بعض الأصوات في بعضها الآخر، وهو ما يشكل الجانب المسموع من اللغة العربية[1].

وهناك مجموعة من العلاقات التي تنظم الأصوات اللغوية ببعضها، يغلب عليها طابع التأثر والتأثير، كما يغلب عليها الجانب التصويتي البحت، وهذه الأصوات البسيطة يُطلق عليها مصطلح الأصوات التركيبية، وهناك مجموعة من الأصوات

(1). انظر: حسان. اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 33.

الأخرى تسمى بالأصوات فوق التركيبية، كالنغم والنبر والفصل، وغيرها، وهي لا تقل أهمية عن الأصوات التركيبية، ولها قيمتها الدلالية والفنية في المستوى الصوتي، وتدخل في كثير من جوانب التفسير الصوتي لظواهر اللغة المتنوعة[1].

ولكي تحافظ اللغة على أصواتها دون أن يدخلها التبديل والتغيير، وتبقى هذه الأصوات متماسكة في سبيل الإبقاء على اللغة بصورتها الإبداعية المميزة، فلا بد لها من أن تتصل بنصوص لغوية تتناقلها الأجيال مشافهة، حتى يأخذ كل جيل طريقة نطق الصوت كما نطقه الجيل السابق، ولقد حبا الله سبحانه وتعالى اللغة العربية بنص مقدس محفوظ من التحريف والتبديل، والذي نُقل مشافهة حتى وصل إلى عصرنا الحاضر، واحتفظ القرآن الكريم بكافة أشكال الظواهر اللغوية بمستوياتها المتعددة: النحوية والصرفية والصوتية، فهذا ما حمى مستويات العربية من أن يدخلها الضياع والضعف في جوانبها المختلفة[2].

وتلتقي البلاغة العربية مع علم الأصوات في مظاهر عدة، يُعتمد فيها على علم الأصوات لبيان الجانب البلاغي ضمن الخطاب الأدبي، وخصوصاً ما يتصل بعلم البديع، وتحديداً المحسنات اللفظية، فكثير منها قائم على أساس الجانب الصوتي البحت الذي يرتبط بتجميل الكلام العربي، وتحسين لفظه في مسامع المتلقي، وما هذا إلا ارتباط وثيق بعناصر علم الأصوات، وتطبيق صريح للبينيّة بين علم الأصوات والبلاغة، فالتداخل الحاصل بينهما يقود المتلقي لفهم حقيقة هذا التأثر بين علم الأصوات من جهة، والبلاغة العربية من جهة ثانية.

1.3.2:السجع:

إن من أبرز مظاهر التباين بين علم الأصوات الذي يعد جزءاً من علوم اللغة العربية، وعلم البلاغة ما كان من سجع الكلام، إذ يُعرف السجع بأنه: تشابه آخر

(1). ليونز. اللغة وعلم اللغة، ص: 134.

(2). انظر: القادوسي، عبد الرزاق بن حمودة (2010م). أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجاً، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة حلوان، مصر، ص: 14.

حرف أو أكثر في نهايات الجمل، وأحسنها التي يكون فيها تشابه آخر الحروف مع تساوي العبارتين[1].

أما في القرآن الكريم فلا يُسمى تشابه نهايات الجمل والآيات سجعاً، وإنما يُسمى فوصالَ؛ وذلك لأن السجع في الكلام يكون مقصوداً بذاته، والمعاني تبع له، في حين أن القرآن الكريم يأتي تشابه الفواصل القرآنية تبعاً للمعنى وليس التشابه مقصوداً بذاته[2].

ولا شك أن الحديث عن تشابه في طبيعة بعض الأصوات، والهيئة النطقية لها إنما هو من صلب الحديث عن التشابه الصوتي بينها، وهو من صلب المعرفة بصوتيات اللغة، وبالتالي فهناك تداخل بين علمي الأصوات والبلاغة في هذا الموضع، وثمة نماذج كثيرة جداً للسجع في رسائل عبد الحميد الكاتب فيما يلي عرض لبعضها.

يقول عبد الحميد الكاتب مستحضراً السجع في عباراته: "أحب (أمير المؤمنين) أن يعهد إليك في لطائف أمورك، وعوامِّ شئونك، ودخائل أحوالك، ومُصطرف تنقُّلك، عهدا يُحملك فيه أدبه، ويشرع ل كبه عظته، وإن كنت – والحمد لله– من دين الله وخلافته، بحيث اصطنعك الله لولاية العهد، مختصا لك بذلك دون لحُمتك وني أبيك"[3].

عند النظر في هذه العبارات اللغوية نجد أن الكاتب قد بناها على السجع وهو مظهر صوتي جمالي تحسيني، فهناك تشابه واضح في نهايات العبارات اللغوية ضمن هذه الرسالة، وتماثل في الصوت الأخير المتمثل بكاف الخطاب، وهو ما يمنح هذه العبارات جرساً موسيقياً مميزاً يجعل المتلقي مستشعراً لقوة هذا الجرس، ومستحضراً لدوره الإيقاعي في تشكيل بنية هذه العبارات، وما هذا إلا من صلب الدراسة الصوتية.

إن القيمة الصوتية المرتبطة بعلم الأصوات منحت الكلام البلاغي مقداراً من التحسين والجمال، فإن مجيء الألفاظ المتناسبة صوتياً في النص السابق دليل على مقصودية هذا التنسيق الصوتي ضمن إطار الكلام، وهو ما يزيد في قوة العبارة

---

(1). انظر: الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى (د.ت). جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتوثيق وتدقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، ص: 330.

(2). انظر: الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد (1982م). سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنا،، الطبعة الأولى، ص: 172.

(3). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 215 – 216.

وبلاغتها، ويمكّن الكاتب والمتلقي على حد سواء من الوصول إلى مبتغاه من تحسين العبارة اللغوية، وإجادة قيمتها الدلالية.

ومن النماذج الأخرى التي جاءت على السجع عند عبد الحميد الكاتب ما جاء في قوله: " وأمير المؤمنين يسأل الله الذي بلّغه هذا الشهر المبارك وأدخله عليه بالعافية والسلامة، أن يُعينه على صيامه، ويرزقه من تَقَبُّلِ عمله، واستجابة دعائه، وتكفير سيئاته، ومغفرة ذنوبه وخطاياه فيه، ما يوجب له به رضوانه ودخول جنته، فإنه وليُّ ذلك والقادرُ عليه والمرغوبُ إليه فيه السلامة والسلام"[1].

لقد كتب عبد الحميد هذه الرسالة في دخول شهر رمضان الفضيل، واستعان بما وهبه الله من عناصر البلاغة والإبداع ما أقام به صلب هذه الرسالة، وأجاد به مكوناتها وعناصرها، ولقد بنى عبد الحميد الكاتب جزءاً كبيراً من هذه العبارات على السجع، قاصداً منح المتلقي هيكلاً إيقاعياً شبيهاً بما يجري في الشعر، وتكراراً صوتياً لبعض أصوات اللغة لمنح العبارة قيمة صوتية جميلة، ولولا معرفة الكاتب بدقائق أصوات اللغة، وطبيعة كل منها، ما استطاع أن يصل لمبتغاه في هذا السياق، كما أن معرفة المتلقي نفسه بتشابه هذه النهايات يدفعه للإحساس بالقيمة الصوتية لسجعات هذا الجزء من الرسالة، مما يمنحها تقارباً بين علمين، الصوت والبلاغة، فيكون هذا التقارب مظهراً من مظاهر البينيّة في البلاغة العربية، وعنصراً دالاً على تظافر العلوم للوصول إلى الغاية الدلالية والمعنوية ضمن عبارات الكلام المختلفة.

ومن النماذج على ذلك أيضاً ما جاء في قوله: " ولا تخلو من لائمته، ولا تأمن سوء الأحدوثة فيه، إن نجم ظاهراً،أوعلن بادياً، ولن يجترئوا على تلك عندك إلا أن يروا منك إصغاءً إليها، وقبولاً لها، وترخيصاً بهم في الإفاضةِ بها".

يقيم عبد الحميد الكاتب العبارات اللغوية السابقة على السجع، فهناك ثلاث فئات للسجع في نصه السابق، الأولى: لائمته، فيه، والثانية: ظاهراً، بادياً، والثالثة: إليها، لها، بها، وهذا السجع هو الذي منح العبارات اللغوية مظهراً صوتياً متناسقاً في إطار التشكيل البلاغي المرتبط بالبديع، إذ بوجود هذا التناسب الصوتي بين العبارات المختلفة استطاع الكاتب أن يدفع الذهن نحو التمتع بتكرار صوتي متناسب، استطاع

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 206.

من خلاله الوصول إلى تشكيل البنية اللغوية للكلام بما يناسب التحسين الصوتي، والتزيين اللفظي للكلام، ولولا معرفة الكاتب والمتلقي على حد سواء بعلم الأصوات لما استطاعا الوصول إلى فهم حقيقي لطبيعة العلاقة بين هذه الأصوات من جهة، وعلم البلاغة من جهة ثانية، ولما استطاعا الوقوف على الأثر الذي يتركه هذا التداخل بين هذين العلمين بما يناسب المعنى والسياق، وهو ما يوحي بالبينيّة البلاغية في هذا الإطار، ويلغي تلك الحدود الفاصلة بين هذه العلوم بقصد الوصول إلى الهدف الجمالي الإبداعي عبر خلق هذه البينيّة وتنمية نواتها لدى المتلقي.

ومن النماذج التي اشتملت على السجع أيضاً ما جاء في قوله: " فتنعش عديمهم، وتجبر كسيرَهُم وتقيم أودهم، وتعلِّم جاهلهم، وتستصلح فاسدهم، فإن ذلك من فعلك بهم يورثك العزة ويقدِّمُكَ في الفضل، ويبقى لك لسانَ صِدْقٍ في العاقبة ويحرز لك ثواب الآخرة ويردُّ عليك عواطفهم المستنفرة وقلوبهم المشيحة"[1].

لقد أقام الكاتب هذا الجزء من رسالته على مظهر صوتي بحت، فقد حرص في الجمل الأولى على إثبات "هم" في نهاية كل طرف من أطراف الكلام، ونهاية كل جملة، بما يتناسب صوتياً مع الجملة التي قبلها، وذلك اعتماداً على الجانب الصوتي في التركيب، وتناسباً مع القياس الوزني لكل جملة، وما هذا إلا شبيهاً بما يقع في الشعر من القافية، فيمنح المتلقي انجذاباً تجاه ما مر من الشعر، وما حل في ذهن المتلقي من إحساس بقيمة هذا الاتزان الموسيقي، وبالتالي فإن معرفة الكاتب بالجانب الصوتي للغة، وفهمه لطبيعة العلاقات بين أصوات اللغة المختلفة، وتناسب هذه الأصوات مع بعضها أمكنه من الوقوف على هذا الانسجام الصوتي بين الجمل، ومنح العبارة البلاغية المعتمدة على الصوت قيمة مضافة تتمثل بما يمنحه علم الأصوات للكلام من إبداع وتقانة وجمال.

ومن المواضع التي اعتمد فيها عبد الحميد الكاتب على السجع ما جاء في قوله: "مُعدَّاً أقوى مكيدتك، وأجدَّ تشميرك، وأرهب عتادك، معظّماً أمر عدوك لأكثر مما بلغك (حذراً يكاد) يُفْرِط، لتعدّ له من الاحتراس عظيماً، ومن المكيدة قوياً، من غير أن

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 233 – 234.

يفتأك ذلك عن إحكام أمورك، وتدبير رأيك، وإصدار رويّتك والتأهب لما يَحْزبُكَ مصغرا له بعد استشعار الحذر، واستبطان الحزم، وإعمال الرويّة وإعداد الأهبة"[1].

لقد اهتم عبد الحميد الكاتب في نهايات الجمل السابقة بالسجع، فحرص على أن يكون الحرف الأخير من الجملة مناسباً لما قبله، وأكثر من كاف الخطاب في نهايات الجمل، بقصد السجع من جهة، وتأكيد المعنى على المخاطب بالوقوف على كاف الخطاب من جهة أخرى، وهذه الطريقة التي أتى بها عبد الحميد الكاتب لم تكن لتفلح لولا معرفته الدقيقة بعلم الأصوات، وعلمه الوثيق بدلالات كل صوت، وطريقة الأخذ بهذا الصوت أو غيره، فأفاد من ذلك كله عبر بناء التشكيل السجعي للكلام، واستطاع أن يمنح النص مزيداً من الجمال والتحسين والتزيين عبر هذه المكونات الصوتية، وبالتالي امتزجت المعاني البلاغية بالقيمة الصوتية للعناصر، واستطاع الكاتب أن يوظف معطيات علم الصوت، ومعرفته المسبقة فيه لتحقيق درجة أعلى من البلاغة الفنية، والتحسينات اللفظية في إطار هذا السياق البلاغي.

ومن المواضع أيضاً ما جاء في قوله: " واعلم أن مواضع الأحراس من موضعك، ومكانّها من جندك، بحيث الغناء عنهم، والردُّ عليهم، والحفظُ لهم، والكلاءةُ لمن بغتهم طارقاً، وأرادهم مخاتلاً، ومراصدُها المنسلّ منها، الآبق من أرقائهم وأعبدهم، وحفظهامن العيون والجواسيس من عدوهم"[2].

يتبين من خلال النص السابق لعبد الحميد الكاتب اهتمامه بجانب السجع، وإحساسه بقوة هذا التركيب الصوتي في سبيل الوصول إلى التركيب البلاغي التحسيني، فالسجع من عناصر التزيين اللفظي، واعتماد الكاتب فيه على الناحية الصوتية بصورة واضحة، فما تكرار الأصوات في نهايات الجمل إلا فهم حقيقي لعلم الأصوات، وتطبيق واقعي لموسيقى هذه الأصوات بما فيها من عناصر التكرار التي تهيمن على ذهن المتلقي، وتقع من عقله موقعاً صحيحاً، فيشعر من ذلك بقوة هذه الأصوات، وتأثيرها في تركيب الكلام، حتى يبلغ منه الأمر مبلغاً كبيراً، فيمزج علم الأصوات هذا بعلم البلاغة، ويحس بالقيمة الصوتية لتلك التكرارات المتتالية في نهايات الجمل، خصوصاً إذا كانت

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 239.

(2). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 244.

جملاً متوازنة كما نراها عند عبد الحميد الكاتب، فهي تشبه بذلك الشعر، ويتحقق من خلالها مظاهر الفهم الحقيقي لها، والإحساس بقيمتها الفنية الموسيقية في بناء النص البليغ، وهذا ما تسعى البينيّة لإظهاره.

ومن النماذج أيضاً ما جاء في قوله: " قد صَلُوا الحرب، وتذاوقوا سجالها، وشربوا من مرارة كؤوسها، وتجرَّعوا غُصَصَ دِرَّتها، وزبنتهم بتكرارها، وحملتْهُم على أصعب مراكبها، وذلَّلتْهُم بثقاف أَوَدِها"[1].

لقد بنى الكاتب عباراته البلاغية السابقة وفق إطار من التناسب التركيبي، وتبعاً لعناصر التوازي بين الجمل، وزاد على ذلك بأن جعل الكلام مسجوعاً، وجعل خاتمة الجملة "ها" الضمير العائد إلى الحرب، فسياق هذه الرسالة يتحدث عمن يختاره الأمير لقيادة الجيوش، وما يتوجب عليهم الاتصاف به حتى يملؤوا هذا المكان، فجعل عبد الحميد الكاتب هذه الصفات ضمن إطار تركيبي سجعي متناسب ومنسجم مع المعنى، وإن تكرار "ها" الضمير يجعل المتلقي منسجماً مع عبارات الرسالة، متابعاً لقيمتها الدلالية، متنبهاً لما يعود عليه الضمير في كل مرة، حتى يتمكن من الوقوف على الدلالات المقصودة، والمعاني المنوطة، وبالتالي فإن عناصر التركيب التصويتية منحت المعنى مزيداً من البلاغة في نفس المتلقي، ودفعته لفهم أعمق لطبيعة الكلام، وهذا كله ضمن إطار الانسجام الدلالي بين علمي الصوت والبلاغة، وضمن مستوى من الإبداع البيني الذي أوجده عبد الحميد الكاتب في هذه الرسالة.

ومن النماذج أيضاً ما جاء في قول عبد الحميد الكاتب: " ومتى لم تُذَلِّلِ الجندَ لقوادهم، وتُضرِعْهم لأمرائهم، تُوجِبْ لهم عليك الحجةَ بتضييع –إن كان منهم– لأمرك، أو خللِ –إن تهاونوا به– من عملك، أو عجزٍ –إن فرط منهم– في شيءٍ ما وكلتهم به، أو أسندته إليهم"[2].

لقد بنى الكاتب هذا الجزء من الرسالة على السجع، وأقام جمله على نسق من التوازن المفضي إلى الانسجام، فوجود السجع في خواتيم الجمل، ونهايات التراكيب يمنح المتلقي إحساساً إيقاعياً بالكلام، وتناغماً صوتياً في تشكيل بنياته المختلفة، وهو

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 246.

(2). المرجع السابق، ص: 251.

ما يسعى الكاتب لتحقيقه عبر إدخال بعض ما يعرفه من علم الأصوات على نظامه الكتابي، وإدماج هذه المعرفة بسياق التزيين البلاغي والتحسين اللفظي، حتى يشعر المتلقي بالقيمة الصوتية المتماسكة في هذا السياق، والجمال التكاملي بين علم الأصوات والبلاغة ضمن هذا الخطاب.

ويقول عبد الحميد الكاتب في موضع آخر كذلك: " فإن انصرف عنك عدوُّكَ، ونكل عن الإصابة من جندك، وكان بخيلك قوةٌ على طلبه، أو كانت لك (من فرسانك) خيلٌ مُعَدَّةٌ، وكتيبةٌ مُنتخبة، وقدرت أن تركب بهم أكتافهم، وتحملهم على سننهم، فأتْبِعْهُمْ جريدةَ خيلٍ عليها الثقات من فرسانك، وأولوا النجدة من حماتك، فإنك ترهق عدوَّك وقد أمن بياتك، وشُغِلَ بكلالهِ عن التَّحرّز منك، والأخذ بأبواب معسكره"[1].

يشتمل النص السابق لعبد الحميد الكاتب على مجموعة من الجمل المترابطة معاً في دلالاتها، والمتماسكة في بلاغتها، يُضاف إليها ذلك التشكيل الصوتي الملائم في نهايات الجمل، فالسجع الذي اهتم به الكاتب، وتشابه أطراف الجمل صوتياً من شأنه أن يمنح هذا الجزء من الرسالة نوعاً من التشابه، ونمطاً من التماسك، باعتبار أن هذا السجع تشابه صوتي يوحي للمتلقي بوجود إيقاع موسيقي عميق ضمن نهايات الجمل، فيدفعه إلى التمتع بما فيها من معانٍ، والتماشي مع ما فيها من دلالات، للوصول في نهاية المطاف إلى المقصود من هذا الخطاب، وتحقيق الدرجة الكبرى من البلاغة عبر انسجام العلوم البلاغية مع العلوم الأخرى كعلم الأصوات باعتباره جزءاً من علوم العربية، وهو ما يحقق الغاية المرجوة من تناسب صوتي في تركيب الكلام، وتشكيل المعنى.

ومن النماذج على السجع ما جاء في قول لعبد الحميد الكاتب في التحميد: " الحمد لله العليِّ مكانُهُ، المنير برهانه، العزيز سلطانُهُ، الثابتة كلماتُهُ، الشافية آياتُهُ، النافذ قضاؤه، الصادق وعدُهُ، الذي قدر على خلقه بملكه، وعزّ في سماواته بعظمته، ودَّبر الأمور بعلمه، وقدَّرها بحكمه، على ما يشاء من عزمه، مبتدعاً لها بإنشائه إياها،

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 259.

وقدرته عليها، واستصغاره عظيمها، نافذاً إرادته فيها، لا تجري إلا على تقديره، ولا تنتهي إلا إلى تأجيله، ولا تقع إلا على سبق من حتمه"[1].

يظهر من خلال النص السابق أن عبد الحميد الكاتب قد ركز على السجع في تشكيل بنية الجمل التي تكون منها كلامه السابق، واستطاع أن يوظف هذه الجمل في سبيل التشكيل الصوتي المتناسب مع طبيعة المعاني، وشكل الدلالة، وهو ما مزج من خلاله علم الصوت بعلم البلاغة، وتمكن عبر هذا المزج من إظهار الدور الذي قام به علم الصوتيات في سبيل تحقيق الغاية الدلالية، والبنية البلاغية للكلام، والوصول إلى مقصوده من طبيعة التداخل بين العلوم، وقيمة هذا التداخل بما يناسب المعاني المقصودة، وهو ما تسعى له البينيّة في دراساتها وأفكارها.

2.3.2:الجناس:

ومن مظاهر التداخل بين علم الأصوات بعلم البلاغة ما يرتبط بالتجنيس أو الجناس، فالجناس: هو تشابه الكلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى، ويأتي الجناس لفظياً ومعنوياً، كما يأتي تاماً إذا تشابه اللفظان في: نوع الحروف، وعددها، وهيئتها، وحركاتها وترتيبها، أما إذا اختلّ شرط من هذين الشرطين فالجناس ناقص، ويأتي الجناس كذلك منفصلاً في كلمتين، أو متصلاً أي ضمن كلمة واحدة[2].

ومن هنا فإن الحديث عن هذا المظهر المرتبط بتشابه الأصوات، وتشابه الحركات والسكنات ضمن إطار البديع في البلاغة العربية نمط من أنماط الحديث عن صوتيات اللغة، ولا يمكن للكاتب أن يصل لهذا الجناس إلا عبر معرفته الدقيقة بأصوات العربية، وما يرتبط بها من تشكيلات صوتية، وهو ما يربط البلاغة بعلم الأصوات، وبالتالي تظهر البينيّة بينهما، وفيما يلي حديث عن بعض النماذج من رسائل عبد الحميد الكاتب التي اشتملت على جناس.

يقول عبد الحميد الكاتب في بعض رسائله: " وهذا جرحٌ أمره رحيبٌ رغيب"[3].

---

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 272.

(2). انظر: الهاشمي. جواهر البلاغة، ص: 325 – 328.

(3). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 192.

يظهر من خلال هذه العبارة اللغوية أنه ثمة تجانس بين كلمتي: رحيب ورغيب، فالكلمتان متشابهتان في اللفظ والحركات والسكنات، غير أنه لا فرق بينهما سوى في اختلاف الحاء والغين بين هذه الكلمة وتلك، مما يعني أنّ هاتين الكلمتين من قبيل الجناس الناقص، فكل شروط الجناس حاضرة سوى تشابه جميع الحروف في شكلها، فقد اختلفت الحاء والغين فحسب، في حين تشابهت سائر الأصوات الأخرى، وبالتالي وقع هذا الجناس اعتماداً على الهيئة الصوتية للكلمتين، وما يرتبط بهذه الهيئة من طبيعة لغوية حاضرة ضمن إطار علم الأصوات.

يعتمد التجنيس عموماً على الجوانب الصوتية، والتناسب الصوتي بين الألفاظ، وهو ما يكون مقصوداً في كثير من الأحيان من قبل الكاتب ليصل من خلاله إلى تحسين العبارة اللغوية، وتزيينها، وهو ما يعتمد بدوره على معرفته المسبقة بعلم الأصوات وخصائص الأصوات عموماً، حتى يتمكن من المزاوجة بينها، والوقوف عند حدود التحسين اللفظي للكلام، فيزيد ذلك من جمال العبارة وقيمتها الدلالية البلاغية.

ويقول عبد الحميد الكاتب في موضع آخر: " قد سُلبوا أجمل لباس دينهم، واستنزلوا عن أحضن معاقل دنياهم"[1].

عند النظر في هذا الجزء من رسالة عبد الحميد الكاتب نجد أن هناك مظهراً من مظاهر التجانس اللفظي بين كلمتي: دينهم، ودنياهم، فالكلمتان متجانستان تجانساً ناقصاً، فالأصوات الموجودة في هذه الكلمة موجودة في تلك، اللهم أن كلمة "دنياهم" تزيد على "دينهم" بصوت الألف فحسب، وهو ما جعل الكلمتين تفترقان عن بعضهما من جهة الجناس التام، وهذا التشابه الصوتي بين الكلمتين إنما يأتي لغرض الإبداع البلاغي، والتحسين اللفظي للكلام، والتزيين الصوتي للعبارة، فكاتب النص على معرفة جيدة ودراية بأصوات العربية، وعلى قدرة بارعة في تشكيل مكونات هذه الأصوات للوصول إلى مقصوده من العبارة التزيينية، وكذلك فالمتلقي على معرفة ودراية بطبيعة التشكيل الصوتي لكل كلمة من الكلمتين، وعلى قدر من استيعاب الألفاظ صوتياً، الأمر الذي منح هذه العبارة مزجاً بين علم الأصوات والبلاغة العربية، فقد أسهم علم الأصوات بمنح هذه العبارة مزيداً من التحسين والجمال، انطلاقاً من ارتباطه بعلم

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 214.

البديع وطبيعة الأصوات من جهة ثانية، وهو ما تسعى البينيّة لإظهاره في مكونات الكلام، وإبدائه على وجه التحسين والدقة لدى المتلقي والمتكلم على حد سواء، وهو ما ظهر بكل وضوح في العبارة السابقة.

ومن التجانس اللفظي أيضاً ما جاء في قوله: " وعطاءك فامهد له بيوتات الشرف، وذوي الحسب وتحرز فيه من السرف"[1].

هناك تجنيس بين كلمتي: شرف، وسرف، وهو تجنيس ناقص، إذ اختلفت هيئة الحرف الأول من الكلمتين، فالأولى: بالشين، والثانية بالسين، وهو اختلال في أحد شروط الجناس التي وضعها البلاغيون، الأمر الذي أخرج هذا النموذج من دائرة الجناس التام إلى الجناس الناقص، وهذا الجناس لا يمكن الإحساس بوجوده، وفهم طبيعته إذا لم يكن الكاتب والمتلقي على حد سواء يعرفون علم الأصوات معرفة جيدة، ويعون تماماً هذا التناوب بين الصوتين، إذ لو لم يكن المتلقي أو الكاتب يعرف علم الأصوات لما استطاع الإحساس بقيمة هذا الجناس، وطبيعة العلاقة بين الأصوات المختلفة، ومن هنا فإن المعرفة الجيدة بعلم الأصوات يمنح الكاتب والمتلقي إمكانية الوصول إلى بعض مظاهر البلاغة خصوصاً في جانب علم البديع، وهذا ما يرتبط ارتباطاً مباشراً بالبينيّة، ويتعالق معها تعالقاً واضحاً، إذ من خلالها يمكن الوصول إلى أعماق الشكل البلاغي، وفهم طبيعة علاقته بالنصوص الأخرى.

ومن مظاهر الجناس التي وردت في رسائل عبد الحميد الكاتب ما جاء في قوله: " منفذاً رُسُلَكَ إليهم بعد الإنذار، تعدهم (إعطاء) كل رغبة يهشّ إليها طَمَعُهُمْ في موافقة الحقّ، وبسط كل أمانٍ سألوه لأنفسهم ومن معهم ومن تبعهم، موطّناً نفسك فيما تبسطُ لهم من ذلك على الوفاء بوعدك، والصبر على ما أعطيتهم من وثائق عهدك"[2].

حمل النص السابق من رسالة عبد الحميد الكاتب جناساً ناقصاً، وذلك في كلمتي: عهدك، ووعدك، فهو جناس ناقص، إذ لم تأتِ الكلمتان متساويتان تماماً في الشكل البنيوي، بل اختلفتا، وهذا الاختلاف إنما هو اختلال في شروط الجناس الناقص التي وضعها البلاغيون، وقد أتاح الكاتب عبر هذا الجناس للمتلقي النظر في طبيعة العلاقة

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 221.

(2). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 238.

الصوتية بين المفردات المختلفة والمتنوعة، وما يترتب على هذا التناسب الصوتي من تزيين الكلام، ولولا معرفة الكاتب والمتلقي بعلم الأصوات، لما استطاع الكاتب أن يأتي بمثل هذه المظاهر الصوتية الإبداعية القادرة على ربط البلاغة بما فيها من مظاهر جمالية وتحسيينية، بعلم الأصوات بما فيه من علاقات الأصوات ببعضها، وقيمة تلك العلاقات في الوصول إلى الغاية الفنية الإبداعية، وهو ما تسعى البينيّة لإظهاره، وتحاول إنجازه عبر هذا المزج بين العلوم، وإلغاء الحدود الفاصلة بينها.

ومن الجناس الناقص أيضاً ما جاء في قوله: " ثم أَجرِ عليه ما يكفيه ويسعُهُ ويصلحه، وفرِّغْهُ لما حمّلته،وأعنه على ما ولّيته، فإنك قد عرّضته لهلكة الدنيا وبوار الآخرة، أو شرف العاجلة وحُظوة الآجلة"[1].

يمثل هذا النص جزءاً من رسالة لعبد الحميد الكاتب في الحديث عمن يتولى القضاء من الجند، فيأتي بهذه الجمل المتناسبة والمتوالية، والمشتملة على نمط من الجناس الناقص، وذلك في قوله:" حملته، وليته"، فهناك تجانس بين هذين اللفظين، غير أنه جناس ناقص، اختلت فيه بعض شروطه، وتغيرت فيه بعض حروفه، غير أنه لم يخرج عن إطار الجناس، وتشاكل الأصوات، وتقاربها، مما يمنح المتلقي إحساساً بقرب هذه المخارج من بعضها، وتقارب هذه الألفاظ من نسقها، فيكون ذلك خير معين له على معرفة قيمتها الصوتية في هذا التركيب، وجمالها البديع ضمن هذا السياق، فليس المقصود صياغة الخطاب أدبياً وبلاغياً فحسب، بل أيضاً لا بد من الإفادة من سائر العلوم الأخرى، والأخذ من شتى مظاهرها، بما في ذلك علم الأصوات، فالمعرفة المسبقة لدى الكاتب بقرب هذه الأصوات من بعضها، وإحساسه بقيمة تجانسها في هذا الخطاب هو الذي دفعه لوضعها هذا الموضع، وجعلها في هذا النسق، للوصول إلى غايته البلاغية المنسجمة بين علمي البلاغة وعلم الأصوات، حتى تتحقق الفائدة ويتم له هدفه كما يراه.

ومن المواضع التي اشتملت على الجناس كذلك ما جاء في قوله معزياً: "الشكر على النّعمة، والصبر على النكبة، وتأدية الحق في ميسور الأمور ومعسورها، ومحبوبها ومكروهها، من استعمله كان شكر الله أَوْلَى به من صَبْره، فيوجب له بالشكر

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 246.

على النعمة المزيد، وبالصبرِ على المصيبةِ الأجرَ، بما أدَّى من الحقِّ في نفسه، واقتدى به أهل دهره"[1].

كتب عبد الحميد الكاتب هذه الرسالة معزياً لهشام بن عبد الملك بوفاة أحد ولديه، وهي على لسان مروان بن محمد، ولقد أبدع عبد الحميد الكاتب في تركيب هذه الرسالة، والوصول إلى قيمتها البلاغية، فأفاد من علم الأصوات، عبر إدخال الجناس الناقص في تشكيلها، وذلك في قوله: ميسور ومعسور، فالكلمتان متشابهتان صوتياً، غير أن هناك فرقاً واحداً بينهما، وذلك في حرف العين ويقابله الياء، وهذا الفرق هو الذي أخرج الجناس من دائرة التام إلى الناقص، وعبد الحميد الكاتب على معرفة ودراية بقيمة هذا الجناس في تحقيق الغاية الصوتية ضمن سياق الكلام، ودوره في تشكيل البنية الإيقاعية ضمن هذا الخطاب، إذ بمعرفته تلك استطاع أن يصل إلى تنسيق صوتي تزييني تحسيني ضمن عناصر هذه الرسالة، وتمكن من خلق أثر أعمق في نفس المتلقي تبعاً للدلالة المرتبطة بعناصر هذا المعنى، ومكونات التركيب البلاغي، وهو ما توصل إليه عبر مزج علم الأصوات بعلم البلاغة، وتوظيف هذا في سبيل ذاك، وهو ما تسعى البينيّة لتحقيقه عبر تداخل العلوم وتقاربها.

وفي نهاية هذا الجزء من الدراسة يظهر أن علم الأصوات قريب جداً من علوم البلاغة، وهو متداخل معها خصوصاً في جانب التحسينات البديعية، وذلك لما للبديع من أهمية في البلاغة العربية، على اعتبار أنه يشكل جزءاً من المظهر التزييني للكلام، وإن امتزاج البلاغة بعلم الأصوات يمنحها نمطاً صوتياً إيقاعياً شبيهاً بما يجري في الشعر، فيكون لذلك الأثر الأكبر في بناء المعنى، وتشكيل الدلالة، والتأثير في المتلقي اعتماداً على إحساسه بالقيمة الموسيقية المرتبطة بهذه الأصوات.

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 274 – 275.

الفصل الثالث
علاقة البلاغة بالعلوم الأخرى

لا تقف حدود البينيّة البلاغية عند الجانب اللغوي فحسب، بل تتعداه إلى جوانب أخرى، تعد خارجة عن بنية اللغة في مظهرها العام، ومن ذلك علم النفس، وعلم الاجتماع، ونحوها؛ فإنّ هذه العلوم تتباين مع البلاغة العربية، وتتداخل معها لتشكل عنصراً تكاملياً متماسكاً في بناء النص البلاغي، وتشكيل الخطاب الأدبي، حتى تظهر كافة جمالياته، وتبدو للناظر جميع مكوناته الإبداعية التي تربط البلاغة بالواقع الذي نعيشه، ومن هنا فسيتناول هذا الفصل الحديث عن علاقة البلاغة بعلم النفس، وعلاقة البلاغة بعلم الاجتماع، وتطبيق ذلك على رسائل عبد الحميد الكاتب.

1.3: علاقة البلاغة بعلم النّفس:

إنّ مما لا شك فيه أنّ النصوص الأدبية بكل ما فيها من مكونات بلاغية، وما فيها من عناصر فنية تؤثر في نفس الإنسان، بل إنّ النصوص الأدبية بحد ذاتها نابعة من عاطفة جياشة لدى الشاعر أو الأديب، من هنا تجد آذاناً صاغية، وقلوباً واعية، وأذهاناً متفتحة، مما يؤيد تداخل علم النفس بعلم البلاغة العربية، لما يترتب على مظاهر البلاغة المختلفة من ارتباط بعلم النفس.

ويعرف علم النفس بأنه: "علم موضوعه الإنسان من حيث هو كائن حيّ يرغب ويُحسّ ويدرك وينفعل فيبحث في انفعالات النَّفس ووقائعها"[1].

كما يعرف بأنه "الدراسة العلمية للسلوك الإنساني في جميع مظاهره"[2].

---

(1). عمر، أحمد مختار (2008م). معجم اللغة العربية المعاصرة، دار عالم الكتب، القاهرة/ مصر، الطبعة الأولى، ج: 3، ص: 2254.

(2). أبو حطب، آمال صادق (1998م). نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة/ مصر، الطبعة الرابعة، ص: 517.

وينقسم علم النفس إلى علوم شتى، منها علم النفس الاجتماعي، وهو الذي يبحث في سلوك الجماعة كلها، ويبحث في المؤثرات النفسية التي قد تدخل في طبيعة تعامل هذه الجماعة مع ما حولها[1].

ومن هنا فثمة تلاقٍ واضح بين ما تنتجه البلاغة العربية من جهة، وما ينتجه علم النفس من جهة ثانية، على اعتبار أنّ علم النفس يأتي بمجموعة من المظاهر النفسية والعواطف الداخلية، فيتأثر الإنسان بما يسمع ويقرأ ويتلّقى، وبالتالي فعاطفة الأديب نفسها تؤثر في النص، كما أنّ عاطفة المتلقي تؤثر في طبيعة تلقيه لهذا النص، مما يقضي بضرورة معرفة الكاتب والمتلقي بهذه الجوانب النفسية، للوصول إلى عبارة بلاغية أكثر جودة، وللوصول كذلك إلى مزج صحيح بين البلاغة وعلم النفس.

إن هذه المعرفة تقصر تلك المسافات الفاصلة بين العلوم المختلفة، ليصل الأمر عند المتلقي على هيئته المطلوبة، ويعي تماماً قيمة هذا التباين بين علمي البلاغة والنفس، والنماذج البلاغية الآتية من رسائل عبد الحميد الكاتب تمثل تطبيقاً عملياً لتداخل علم النفس بالبلاغة العربية ضمن الخطاب الأدبي.

وعند النظر في علاقة علم البلاغة بعلم النفس نجد أن النصوص والخطاب الأدبي عموماً جاء ليبوح عما في نفس المتكلم، أو ليحكي تجربة نفسية معينة، وفيما يلي سنورد مجموعة من النماذج على تباين علم البلاغة بعلم النفس عند عبد الحميد الكاتب.

يقول عبد الحميد الكاتب مخاطباً أحد معارفه وإخوانه: " أما بعد، فقد عاقني الشكُّ في أمرك عن عَزْمَةِ الرأي فيك، ابتدأتني باللطفِ عن غير خبرة، ثم أعقبه جفاءٌ بغيرِ ذنب،فأطمعني أوّلك في إخائك، وأيأسني آخرك من وفائك، وأعلقتَ قلبي من مقتك ما ولهتْ له نفسي وصَبَتْ إليه، فلم أجد سبيلاً سَهُلتْ بي إلى الاستغناء بك، ولا رأياً مشجّعاً لي على قطيعتك، فأعتبْ من كَثَبٍ فذو الإعتابِ من ذنبٍ كمن لم يذنب، وقانا الله وإياك فتنةَ الخُلَّة، وعصمنا وإياك بوفاءِ أهل الدين والسلام"[2].

---

(1). انظر: عمر. معجم اللغة العربية المعاصرة، ج: 1، ص: 394.

(2). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 192 – 193.

عند النظر في هذه الرسالة التي كتبها عبد الحميد الكاتب مخاطباً بعض أصدقائه، نجد أنها تشيع بالعاطفة الجياشة، والمشاعر الحساسة أمام هذا المخاطب، إنه ليس مخاطباً عادياً، بل هو مخاطب يكن له عبد الحميد الكاتب كل المحبة والرغبة في القرب منه، وهو بذلك يقيم نص رسالته هذه على عناصر العاطفة تلك، وعلى مشاعر نفسية تجيش في أعماقه، بمعنى أن فهم نفسية المتكلم – الكاتب – وسيلة مهمة للإحساس بالقيمة البلاغية التي تشكلت منها هذه العبارات البلاغية في الرسالة، وأن هذه المشاعر التي أفاض بها الكاتب على الرسالة، وحقق من خلالها عناصر التميز الجمالي البلاغي ارتبطت بعلم النفس كارتباطها بعلم البلاغة، وهو ما يؤكد التداخل بين هذين العلمين، والتباين الحقيقي بينهما، إذ استطاع الكاتب أن يختصر سائر الفواصل الكائنة بين هذين العلمين، وأن يصل إلى مبتغاه من خلال ربط علم البلاغة بعلم النفس.

ويقول عبد الحميد الكاتب على لسان صديق له وُهِبَ ولداً: " فإذا نظرتُ إلى شخصه تحرَّكَ لي وجدي، وظهر به سروري، وتعطّفت عليه مني أنسة الولد، وتولّت عني به وحشة الوَحَد، فأنا به جَذِلٌ في مغيبي ومَشْهدي، أحاولُ مسَّ جسده، بيدي في الظُّلَم، وتارةً أعانقه وأرشفه، ليس يَعْدلُهُ عندي عظيمات الفوائدِ ولا مُنْفِساتُ الرغائب، سرَّني به واهبُهُ لي على حين حاجتي، فشدَّ به أزري وحمَّلني من شكره فيه ما قد أدنى بثقلِ حملِ النّعم المساقة إليَّ به، المقرونة سرّاؤها في العجب بتاراتِ ما يدركني طيه من رقّة الشفقة مخافة مجاذب المنايا إياه، ووجلاً من عواطف الأيام عليه، فيما يعتلج لي وعليَّ بالمسرور والمحذور"[1].

لقد برزت هذه العبارات بكل مكوناتها البلاغية، وبما اشتملت عليه من مظاهر الإبداع البلاغي في لغتنا الجميلة والجليلة، فهناك الكنايات والاستعارات والسجع وتساوي الجمل والفواصل، وهناك مظاهر التعبير المختلفة، ولكن كل هذه المكونات البلاغية تتماشى مع الجانب النفسي، وكيف أبدع الكاتب في وصف عاطفة الأب وسروره بولادة هذا الابن له، وما يترتب على ذلك من شد أزره، وإقامة عونه، فهذا الأب لا يسأم من تقبيل ولده، وهو دائم التلمس له في الليل والنهار، وما ذاك كله إلا

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 201 – 202.

انطلاقاً من العاطفة الجياشة التي تفور في صدره، وتنبع من قلبه، وهي عواطف نفسية عبر عنها الكاتب بكل إبداع وتميز.

وكتب عبد الحميد الكاتب في نصيحة لولي العهد: " اعلم أن للحكمة مسالك، تقضي مضايقُ أوائلها بمن أمَّها سالكاً وركب أخطارها قاصداً إلى سعة عاقبتها، وأمن سّرْحها وشَرَف عزّها، وأنها لا تعارُ بسخف الخفة، ولاُ نشأً بتفريطِ الغفلة، ولا يتعدَّى فيها بامرئٍ حدّه، وقد تلقتك أخلاق الحكمة من كل جهة بفضلها من غير تعب البحث في إدراكها، ولا متطاول لمنال ذروتها، بل تأَثَّلْتَ منها أكرم معانيها، واستخلصت منها أعتق جواهرها ثم شمرت إلى لُباب مُصاصها وأحرزت مُنْفِسَ ذخائرها، فأقتعد ما أحرزت، ونافس فيما أصبت"[1].

يخاطب عبد الحميد بن يحيى الكاتب في هذه الرسالة ولي العهد، ويقدم له هذه النصيحة، التي يُظهر فيها الكلام عن الحكمة، وغاية هذه الحكمة في تقادير الأمور وتصريف المواضيع، وأنّ ولي العهد قد أتته الحكمة من غير جهد ولا عناء، وفي واقع الحياة التي يعيشها الإنسان فإنّ النصيحة يُقصد بها التأثير على المتلقي حتى يأخذ بها، وبالتالي فإن الكاتب يعتمد على عناصر التأثير النفسي كي يدفع المتلقي للأخذ بهذه النصيحة، وهو ما بدا واضحاً جلياً في رسالة عبد الحميد الكاتب التي سبقت، فالقصد منها التأثير في ولي العهد حتى يأخذ بما في هذه الرسالة من نصيحة.

ويقول عبد الحميد الكاتب في موضع آخر: " فإن أردت إسعافهُ ونجاحَ ما سأل منها، أذنت له في طلبها، باسطاً له كَنَفَك، مُقبلاً عليه بوجهك مع ظهور سرورك بما سألك، بفسحة رأي، وبَسْطَةِ ذَرْعٍ، وطيب نفس"[2].

يتناول الكاتب في نصه السابق ما يكون من تلبية الحاجات من قبل الأمير لمن حوله من الناس، وما يترتب على هذه التلبية من مظاهر السرور والفرح، والبسطة في النفس، وهي مجموعة من المشاعر الإنسانية التي يعيشها الإنسان في بعض الأحوال والحالات، أشار إليها الكاتب ضمن إطار رسالته السابقة؛ ليدفع بمزيد من التأثير خلال هذه الرسالة الفنية، ويمزج بين علمي البلاغة من جهة وعلم النفس من جهة

---

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 217.

(2). عباس. عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 226 – 227.

ثانية، فإن امتزاج هذين العلمين يمنح الخطاب سمة البينيّة، ويجعل من هذه البينيّة وسيلة للوصول إلى معنى أكثر عمقاً، وغوصاً في جزئيات هذا المعنى ومكوناته العلمية، ودلالاته البلاغية، إذ إن المعرفة بعلم النفس تدفع الكاتب والمتلقي لفهم أكثر عمقاً لهذه المعاني الواردة في سياق هذا الخطاب الأدبي.

ومن النماذج أيضاً ما جاء في قول عبد الحميد: "فأصدرت رأيك في حوائجه وأجلت فكرك في أمره، وأنفذت مصدر رويَّتِكَ في مرجوع مسألته قبل دخوله عليك، وعلمه بوصول حاله إليك، فرفعت عنه مؤونة البديهة، وأرخيت عن نفسك خناق الرّويّة، وأقدمت على ردِّ جوابه بعد النظر وإجالة الفكر فيه، فإن دخل عليك أحد منهم فكلَّمك بخلاف ما أنهى إلى كاتبك وطوى عنه حاجته قبلك، دفعته عنك دفعاً جميلاً، ومنعته جوابك منعاً وديعاً، ثم أمرت حاجبك بإظهار الجَفْوةِ له والغِلْظَةِ عليه ومنعه من الوصول إليك، فإن ضبطك ذلك مما يُحْكِمُ لك تلك الأسباب صارفاً عنك مؤونتهً، ومسهلاً عليك مستصعبها، إن شاء الله"[1].

يعالج عبد الحميد الكاتب في هذا النص من رسالته ما يقع من الأمير عند إدخال الحاجب أمراً لشخص من الأشخاص عليه، فإنّ عرضه على الحاجب قبل دخوله إليه كان الأمر أيسر على الأمير، وإلاّ فإنّ لم يقضِ الأمير حاجته كان صرفه أيسر مما لو عرض عليه الحاجة بعد الدخول، وفي الخطاب السابق يتبين تلك المظاهر النفسية التي تترتب على الأمير في حال عُرِض عليه أمر من الأمور لشخص ما، فسواء أراد قبوله له وقضاءه، أم أراد رده ورفضه، ففي الحالتين تكلّف نفسي، وحرج قد يدخل فيه الأمير؛ لذا كانت نصيحة عبد الحميد له بأن تُعرض الحاجة على الحاجب قبل دخولها على الأمير، وبالتالي ينقضي ذلك الحرج، ويختفي ذلك الخجل والحياء من ملاقاة صاحب الحاجة، وهذا كله جاء في إطار بلاغي، وطريقة بلاغية رصينة في الكلام عن الموضوع، بمعنى أن العبارة البلاغية هاهنا قد تداخلت مع العبارة المرتبطة بعلم النفس، وهذا التداخل البيني في هذا الصدد منح المعنى مزيداً من القوة، والعبارة مزيداً من الإبداع، والقدرة على إقناع المتلقي، والإفادة من سائر العلوم والفنون في سبيل تحقيق ذلك الهدف.

---

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 228.

ونجد عبد الحميد الكاتب يوصي الأمير بعدد من الوصايا التي تمثل عنصراً مهماً في سلطان الإمارة، يقول: " وعليك بثبوت المنطق، ووقارِ المجلس، وسكون الريح، والرفض لحشو الكلام والترك لفضوله والإغرام بالزّيادات في منطقك، والترديد للفظك، من نحو: اسمع وافهم عنّي"[1].

تمثل الوصايا السابقة مجموعة من الإرشادات التي من شأنها أن يكون الإنسان منضبطاً في مشاعره النفسية إذا كان في مجلسه، وهذه المشاعر لا بد أن تكون منضبطة، لذا نجد الكاتب يؤكد على طبيعة التعامل الصحيح مع هذه المشاعر، وتلك المظاهر النفسية التي يتوجب على الأمير الأخذ بها عند التعامل مع جلسائه، وما هذا إلا ارتباط وثيق بعلم النفس، واتصال بينه وبين البلاغة، فالعبارات التي سبقت الإشارة إليها عند عبد الحميد الكاتب إنما هي عبارات بلاغية جميلة، وألفاظ بليغة، وكلمات فصيحة، مزجها الكاتب في إطار من النصيحة المرتبطة بعلم النفس، وهذا كله نمط من التداخل بين هذه العلوم، وامتزاج بين مكوناتها الفنية والبلاغية والإبداعية؛ إذ في هذا الامتزاج ما يؤيد كون البينيّة حاضرة في مظاهر البلاغة جميعها، وواقعة في معايير الجودة الفنية كلها، انطلاقاً من تداخل هذه العلوم وتماسكها.

ومن النماذج أيضاً ما جاء في قوله: " فإذا أقضيت نحو عدوِّكَ واعتزمت على لقائهم وأخذت أهبةَ قتالهم، فاجعل دعامتك التي تلجأُ إليها، وثقتك التي تأملُ النجاةَ بها وركنك الذي ترتجي منالَ الظفر به وتكتهف به لمعالق الحذ، تقوى الله عز وجل، مستشعراً له بمراقبته، والاعتصام بطاعته"[2].

يخاطب الكاتب في هذا النص الأمير، ويبين له الكيفية التي يكون عليها الأمر عند ملاقاة العدو، فركز في هذا الجانب على الناحية النفسية، وذلك أن تقوى الله تعالى شيء يستقر في نفس الإنسان، وقوة نفسية دافعة، إذ هي نابعة من الشعور بوجود الله تعالى، وهذا الشعور بحد ذاته يمثل عنصراً نفسياً، وبالتالي فقد بنى الكاتب هذا النص من رسالته على معطيات علم النفس، وكيفية التعامل مع المشاعر، وتوجيهها كي تكون قوة دافعة في الإنسان، كما أن الكاتب شبه تقوى الله تعالى بالدعامة التي يلجأ

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 231 – 232.

(2). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 235.

إليها الإنسان، وبالركن الركين الذي يلوذ به حتى يصل لمبتغاه، فكان هذا التشبيه بغرض نفسي بحت، فإنه يجعل من المشاعر العميقة بتقوى الله تعالى دعامة شديدة يلجأ إليها الإنسان، وركناً حصيناً يلوذ به الخائف، وبالتالي فقد استطاع الكاتب المزج بين علمي البلاغة من جهة، وعلم النفس من جهة أخرى، ليصل عبر هذا المزيج إلى بينيّة دلالية يقدم فيها كل علم من هذين العلمين ما اشتمل عليه من قيمة فنية ودلالية، للوصول إلى المعنى المراد والمقصود من هذه الرسالة.

ويقول عبد الحميد الكاتب في موضع آخر: " واحذر أن تضرب على يديه، أو تَشْكُمَه على الصّرامةِ بمؤامرتك في كل أمر حادث وطارئ، إلا في المهم النازل والحدث العام، فإنك إذا فعلت ذلك به دعوته إلى نصحك، واستوليت على محصول ضميره في طاعتك، واجهد نفسه في تزيينك وإغاثتك ، وكان ثقتك وردأكَ وقوَّتك ودِعامَتَكَ، وتفرغت أنت لمكايدة عدوّك، مريحاً نفسك من همِّ ذلك والعناية به، ملقياً عنك مؤونة باهظةً، وكلفةً فادحةً، إن شاء الله"[1].

تمثل هذه الرسالة نصيحة للأمير المضطلع بولاية العهد، والطلب منه ألا يقوم بضرب الجنود، أو معاقبتهم، أو شتمهم، ويبين السبب في امتناع ذلك؛ لأنه يؤثر في نفسية هذا الجندي، وربما دفعه إلى الخروج على الطاعة، أو التقليل من الهمة، وما هذه النصيحة إلا من صلب علم النفس، فمعرفة عبد الحميد الكاتب بنفس الإنسان، وما ينزعها إلى التمرد والخروج عن الطاعة، وهذه المعرفة دفعته لإظهار هذا الخطاب البلاغي الفصيح، وإظهار القيمة النفسية التي تترتب عليه؛ مما يدفعه لنصيحة ولي العهد بعدم فعل ذلك، حتى لا يخرج عليه الجند، ولا يضربون بطاعته عرض الحائط، فتمكن من خلال هذا المزج بين معطيات علم النفس من جهة، وتركيب الكلام البلاغي من جهة ثانية من الوصول إلى هدفه الدلالي، والتأثير في طبيعة المتلقي الذي يسعى للأخذ بنصيحة هذا الكاتب البليغ، وبالتالي فقد تقاربت الحدود الفاصلة بين هذه العلوم، واستطاع الكاتب أن يستفيد من كل منها، ليصل بذلك لمبتغاه وتحقيق غايته البلاغية في هذا الصدد.

---

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 244 – 245.

ويقول عبد الحميد الكاتب في موضع آخر: " فانتخبهم رأيَ عَيْنٍ، وقوِّهم بما يُصْلِحُهُم من المنالات والأطماع والأرزاق، واجعلهم منك بالمنزل الذي هم به من محارز علامتك، وحصانة كهوفك، وقوة سيّارة عسكرك وإيّاك أن تُدْخِلَ فيهم أحداً بشفاعة، أو تحتملهُ على هوادة، أو تُقَدِّمه لأثرة ، أو أن يكون مع أحد منهم بغلٌ نَفْلٌ أو فَضْلٌ من الظَّهر، أو ثَقَلٌ فادح، فتشتدَّ عليهم مؤونةٌ أنفسهم "[1].

يتحدث عبد الحميد الكاتب في هذا النص من رسالته عن طلائع الجيش، ويطلب من الأمير أن ينتخبهم انتخاباً، وألا يكون منهم أحد إلا وهو يعرفه معرفة جيدة، ثم طلب منهم أن يستميلهم بالعطايا، وأن يمنحهم الراحة في كل شيء، وما هذا إلا من قبيل المعرفة بنفسية هؤلاء الجند، فإن العطايا تدعوهم لمزيد من الإصرار على تحقيق ما هم بصدده، وتلزمهم مزيداً من الإخلاص لأميرهم وجيشهم، بمعنى أن هذه العطايا هي التي تسيطر على نفوس هؤلاء الجند، وما هذه النصيحة إلا من صلب المعرفة بعلم النفس، والدراية بما يجول في نفوس الناس، فأخذ الكاتب على عاتقه أن يضمنها هذا النص البلاغي، وأن يجعل من سياق الحديث الفصيح البليغ متماشياً مع معطيات علم النفس، حتى يتمكن من الوصول إلى الفائدة الكبرى من هذا الخطاب، فما اشتمل عليه النص السابق من المظاهر البلاغية كلها آخذة بنظام من البراعة والدقة والإبداع بما يتناسب مع طبيعة المعنى، يصحبها في ذلك ما أفاد منه الكاتب من معطيات علم النفس، ليخلق هذا النص المنسجم المتماسك للوصول إلى غايته الدلالية المعنوية.

ويتابع عبد الحميد الكاتب قوله في موضع آخر: " واحذر اعتلال أحد من قوادك عليك بما يحول بينك (وبين تأديب) جندك وتقويمهم لطاعتك، وقمعهم عن الإخلال بمراكزهم لشيء مما وكِلُوا به من أعمالهم، فإن ذلك مفسدةٌ للجند، مفثأَةٌ للقواد عن الجدِّ والإيثار للمناصحة، والتقدم في الأحكام"[2].

يحذر عبد الحميد الكاتب الأمير في هذا الجزء من الرسالة بأن يتنبه لبعض جنده حتى لا يعتلّ عليه بعضهم، فيفسد عليه الجند الآخرين، بمعنى أن السبيل إلى ذلك يكون بفهم نفوس هؤلاء الجند، ومراقبة تصرفاتهم وأفعالهم، حتى يتمكن القائد أو الأمير

(1). عباس. عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 249.

(2). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 251.

من الإحساس بخطورة بعضهم، فيتمكن من فهم ما تجول به نفسه قبل أن يقدم على شيء، ولا يتأتى هذا الفهم إلا من خلال دراية بعلم النفس، والكاتب حينما أورد هذا الكلام ضمن سياق بلاغي أراد أن يشير إلى بعض ما يطرحه علم النفس الإنسانية من أمور يتوجب على المرء معرفتها، فمزج ذلك كله بإطار بلاغي رصين، وعبارة أدبية بديعة، وبسياق لغوي متين، وهذا كله وسيلة اتخذها الكاتب لربط العلوم ببعضها، وإدخال سياق علم النفس ضمن سياقات البلاغة المختلفة، فقوله: اعتلال أحد قوادك عليك، تشبيه له بالمرض، فكأن انقلاب هذا القائد على أميره مرض يصيب هذا القائد ثم ينتقل للجيش كله، وهذا من قبيل التشبيه، أتى به الكاتب كي يشير إلى الجانب النفسي في هذا السياق، واستطاع من خلاله منح الكلام مزيداً من التماسك باعتبار أنه منضبط بالعلوم المتباينة والمختلفة.

ومن النماذج على ذلك أيضاً ما جاء في قوله: " وإياك وأن تُخْمِدَ نارَ رواقك، وإذا وقع العدو في معسكرك فأجّجها ساعراً لها، وأوقدها حطباً جزلاً، يعرف بها أهل العسكر مكانك وموضع رواقك، فيسكن نافر قلوبهم، ويقوى واهن قوتهم، ويشتدُّ مُنْخَزِلُ ظهورهم، ولا يُرَجِّمون بك الظنون، ويجيلون لك آراء السوء وذلك من فعلك رادٌّ عدوَّكَ بغيظه، لم يستغلَّ منك ظفراً ولم يبلغ من نكايتك سروراً، إن شاء الله"[1].

يخاطب الكاتب في هذا الجزء من الرسالة الأمير – من له ولاية العهد – ويبين له أنه إذا كان في الليل وقد بيّته العدو فإن عليه ألا تخمد نار خيمته ومكانه؛ لأنها إذا بقيت مشتعلة عرف الجند بمكانه، واطمأنوا بأنّه حولهم، وبالتالي فقد جعل الكاتب من الحديث عن هذه النار وسيلة لإبداء الراحة النفسية لهؤلاء الجند، وطمأنينة نفوسهم وقلوبهم، فإنها ترتاح بمجرد معرفتهم أن هذه النار هي نار الأمير، ومن هنا فقد أفاد الكاتب من معطيات علم النفس حتى يأخذ بمظهر بلاغي حسن الهيئة، مبدع الصورة، تظهر فيه عناصر المعنى، ومكونات الدلالة وقد أخذت من البلاغة مأخذاً، ومن علم النفس مأخذاً آخر، فتكونت بذلك دلالاتها، وتقاربت العلوم مع بعضها لمنح الكلام مزيداً من التقانة والإبداع والبلاغة، وهو ما تسعى البينيّة لتحقيقه في شتى مظاهرها، وأجلى صورها.

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 259.

ويقول عبد الحميد الكاتب في موضع آخر: "" أطال الله بقاء أمير المؤمنين مؤيداً بالعز، مخصوصاً بالكرامة، ممتعاً بالنعمة، إنه لم يُلَقَّ أحد من المقتنصين، ولا مُنِح متطرَّف من المتصيّدين، إلا دون ما لقَّانا الله به من اليمن والبركة، ومنحنا من الظفر والسعادة في مسيرنا، من كثرة الصيد، وحُسن المقتنص، وتمكين الجاسة، وقُرب الغاية وسهولة المورد، وعموم القدورة، إلا ما كان من محاولة الطلب، وشدة النَّصب، لنافر الصيد، وفائته الطّريدة، التي أمعنا في الطلب لها، وأعجزنا البهر عن اللحاق بها، لتفاوت سبقها، ومنقطع هربها ومتفرق سبُلها، ثم آل بنا ذلك إلى حسن الظفر، وتناول الأرب، ونهاية الطرب"[1].

جاءت هذه الرسالة في وصف الصيد، وما يترتب عليه من مظاهر السعادة التي أبداها عبد الحميد الكاتب في نصه السابق، وإحساسه بالظفر والوصول إلى الغايات عبر هذا الصيد، بمعنى أن الكاتب يصف لنا شعوراً داخلياً في نفسه، ويتحدث عن مشاعره الإيجابية تجاه ذلك الموقف، في قالب بلاغي جميل، وصياغة لفظية رصينة، أفاد فيها الكاتب من علم النفس من جهة، ومن البلاغة من جهة ثانية، حتى بلغ به الأمر هذا المبلغ من الإجادة والتقانة، ووصل إلى هذا المستوى من تداخل العلوم حتى يتمكن من وضع نظام من التجانس والتماسك في هذا السياق الإبداعي، ولقد استطاع الكاتب تحقيق كل ذلك، والوصول إلى مبتغاه، وهو ما تقتضيه البينيّة البلاغية، وتسعى لتحقيقه والإشارة إليه عبر هذه المكونات اللغوية والبلاغية وغير اللغوية المرتبطة بعلم النفس.

ويقول عبد الحميد الكاتب في موضع آخر: " فلم نزل بأخفضِ سير، وأثقف طلب، وقد امطرتنا السماء مطراً متداركاً فربت منه الأرض، وزهر البقل، وسكن القَتامُ، من مُثار السّنابك، ومتشعبات الأعاصير، مُهلة أن سِرنا غلوات، ثم برزت الشمس طالعةً، وانكشفت من السحاب المسفرة فتلألأت الأشجار وضحك النُوَّار، وانجلت الأبصار فلم نر منظرا أحسن حُسْنا، ولا مرموقاً أشبه شكلا، من ابتسام نور الشمس عن اخضرار زهرة الرياض، والخليل تمرحُ بنا نشاطا"[2].

---

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 269.

(2). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 270.

يصف الكاتب في هذا النص تلك الظروف التي أحاطت بهم في رحلتهم للصيد، وكيف أن الشمس كانت في موضعها، والمطر الذي افترت منه الأزهار والنباتات، والمناظر الطبيعية الجميلة والخلابة، كل هذا يأتي به الكاتب في قالب بلاغي مليء بالتشبيهات والاستعارات ومظاهر البلاغة المختلفة، غير أن ما يخفيه الكاتب مرتبط بعلم النفس، وذلك أن جميع هذه المظاهر والمناظر أفضت إلى استحسان نفسي، وراحة داخلية نفسية تركزت في نفوس هؤلاء المقتنصين، واستطاع الكاتب أن يعبر عنها بكل هذه الألفاظ الدقيقة، والمعاني الرقيقة، وبالتالي فقد امتزج علم النفس بمعطيات علم البلاغة، ووصلت المعاني والدلالات التي يريدها الكاتب إلى المتلقي بصورتها التامة المتكاملة والمنسجمة مع مكونات الصياغة البلاغية الإبداعية، والآخذة من البينيّة بطرف وثيق.

ومن المواضع أيضاً ما جاء في قوله: " وليس أحدٌ من أهل الصناعاتِ كلِّها أحوجَ إلى استخراج خلالِ الخيرِ المحمودةِ وخصالِ الفضلِ المذكورةِ المعدودةِ منكم أيها الكتابُ، إن كنتم على ما سبقَ به الكتابُ من صفتِكم؛ فإن الكاتبَ يحتاجُ من نفسه ويحتاجُ منه صاحِبُهُ الذي يشق به في مهمات أمورِهِ إلى أن يكونَ حليما في موضع الحِلم ، فقيها في موضع الحُكم، مقداما في موضع الإقدامِ ومحجما في موضع الإحجام، لينا في موضع اللين، شديدا في موضع الشدةِ، موثرا للعفاف والعدل والإنصافِ كتوما للأسرارِ، وفيّا عند الشدائدِ، عالما بما يأتي ويذرُ ويضعُ الأمورَ في مواضعِها"[1].

يمثل النص السابق من رسالة عبد الحميد الكاتب للكتاب طرفاً من الإشارات النفسية التي يتسم بها الكتاب، وما يؤول إليه أمره من طبيعة التصرف الصحيح السليم مع الأمور والمواقف المختلفة، إذ بهذا التصرف يعد سلوكه صحيحاً، وعمله إيجابياً، وهذا الكلام عن السلوك الإنساني المختلف إنما يدخل في إطار علم النفس، فهو العلم الذي يناقش جميع هذه المظاهر السلوكية للإنسان، ويبين دورها وقيمتها في حياته اليومية، وبالتالي فقد أفاد الكاتب من علم النفس في تشكيل البنية البلاغية للخطاب التراسلي

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 283.

السابق، وأعطاه مقداراً من المعنى والدلالة المنوطة بهذا الإطار المعرفي المتماسك بين هذه العلوم.

هذه مجموعة من النماذج التي ورد فيها بعض الأمثلة على تداخل علم البلاغة بعلم النفس، وهناك مواضع كثيرة أخرى في رسائل عبد الحميد يضيق المجال عن ذكرها؛ لذا نكتفي بالإشارة إليها هاهنا[1].

ومن هنا فقد امتزج علم النفس بعلم البلاغة انطلاقاً من القيمة المضافة لسياق الكلام اللغوي، واعتماداً على ما تناوله عبد الحميد الكاتب من إشارات نفسية ضمن سياقاته البلاغية، وما تخرج إليه مظاهر البيان المختلفة، وحديث الكاتب عن الأثر النفسي المترتب على بعض الأمور والتصرفات، هذا علاوة على الحديث عن السلوك الإنساني، وما يربطه بواقع الحياة، كل ذلك ضمن قالب بلاغي ألحّ الكاتب فيه على تحقيق أقصى درجات البيان والإبداع المرتبط بعناصر المعنى والدلالة، والمتماسك ضمن علاقة تداخلية بين علم النفس من جهة، وعلم البلاغة من جهة ثانية.

2.3: علاقة البلاغة بعلم الاجتماع:

لا تقل أهمية علم الاجتماع عن علم النفس في تعالقه مع البلاغة العربية، إذ إن كثيراً من مظاهر البلاغة العربية وأساليبها – وبخاصة البيانية – تأتي لموافقة بعض الظواهر الاجتماعية، ومجاراة ظروف الجماعة والمجتمع، من هنا تتداخل البلاغة مع علم الاجتماع، وتظهر البينيّة في أجلى صورها.

وعلم الاجتماع هو "علمٌ يبحث في نشوء الجماعات الإنسانيّة ونُمُوّها وطبيعتِها وقوانينِها ونُظُمِها"[2].

ويعرف علم الاجتماع كذلك بأنه: " العلم الذي يتخذ له موضوعًا ملاحظة الظواهر العقلية والأخلاقية التي بها تتكون الجماعات الإنسانية وتترقى"[3].

---

(1). من ذلك: عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 193، 202، 209، 221، 233، 283، وغيرها.

(2). عمر، أحمد مختار (2008م). معجم اللغة العربية المعاصرة، بمساعدة فريق عمل، دار عالم الكتب، القاهرة/ مصر، الطبعة الأولى، ج: 1، ص: 393.

(3). كرم، يوسف بطرس (د.ت). تاريخ الفلسفة الحديثة، مكتبة الدراسات الفلسفية، الطبعة الخامسة، ص: 323.

وهو ذلك العلم الذي يتناول دراسة المجتمع برمته، من جهة مكوناته الجغرافية، والتاريخية والسياسية، وطبيعة المجتمع ذاته، ويبين كافة الملامح المرتبطة بهذا الجانب[1].

و" يهتم علماء الاجتماع بدراسة السلوك الإنساني بما في ذلك السلوك السياسي، وذلك في نطاق البيئة الاجتماعية. لهذا يدخل في مجال علم الاجتماع السلوك السياسي والعلاقات والمؤسسات السياسية بالإضافة إلى أنواع أخرى من السلوك والعلاقات والمؤسسات. فعلم السياسة إذًا يتداخل مع علم الاجتماع تماما، كما يتداخل مع علمي التاريخ والاقتصاد"[2].

وكما هو واضح من خلال تعريف علم الاجتماع، وبيان أهم الأسس التي يسير وفقها، فهناك عدد من مظاهر الالتقاء بين هذا العلم من جهة، وعلم البلاغة العربية من جهة ثانية، انطلاقاً من كون علم البلاغة وسيلة للتعبير عما يجري في المجتمع، بمعنى أنها صورة أخرى عن هذا المجتمع، ولا بد من النظر في طبيعة التأثير الذي يخلقه هذا العلم في البلاغة العربية، وكيف أن المسافات تقصر بينهما، فتتداخل الأسس، وتبرز عناصر التباين بينهما، مما يحيل بالمتلقي إلى حتمية فهم مكونات علم الاجتماع، والاطلاع على ما يمليه المجتمع على الأديب من أجل إظهار عمله الأدبي بما يوافق متطلبات هذا المجتمع، ويتناسب مع مكوناته الاجتماعية، وهذا ما سنبرزه ضمن النماذج البلاغية المأخوذة من رسائل عبد الحميد الكاتب.

1.2.3:العلاقات الإنسانية:

إن من أبرز الأمور التي ترتبط بعلم الاجتماع ما ينضوي تحت العلاقات الإنسانية، كعلاقة العائلة، أو العشيرة، أو ذوي القربى، أو الجماعة والطائفة، وهكذا، وجميع هذه العلاقات ترتبط بالإنسان ذاته، وتزخر رسائل عبد الحميد الكاتب بالحديث عن مثل هذه العلاقات الإنسانية، ومن ذلك يقوله عبد الحميد الكاتب.

---

(1). انظر: عمر. معجم اللغة العربية المعاصرة، ج: 1، ص: 394.

(2). ربيع، محمد محمود (1987م). مناهج البحث في العلوم السياسية، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الثانية، ص: 172.

ومن بين تلك العلاقات الإنسانية التي لا شك لها حضورها في الكتابات عموماً، ورسائل عبد الحميد الكاتب تحديداً ما يختص بعلاقة الراعي بالرعية، والأمير بالمأمور، وعلاقات التقارب والتباعد والارتحال بين الناس، وهي ما سنورده من النماذج النصية الآتية.

يقول عبد الحميد الكاتب في الحديث عن موقف أمير المؤمنين من ذوي قرابته ورحمه، يقول: " أما بعد، فقد عرفت رأي أمير المؤمنين في ذوي أرحامه، وسرعتهُ إليهم وعطفهُ عليهم، وأنّ الله أعطاه من ذلك أحسن ما كان عليه خليفة من خلفاء الله، وأنّ عمرو بن سعيد قدم على أمير المؤمنين، فذكر له استهانتكَ بحقِّهِ وسوء أذاتك له، وقلة نصيبهِ منكَ، فساء ذلك أمير المؤمنين، ولم يدرِ على ما يَضَعُهُ منك، وكرهِ إهمالَ عتابك فيه وملامتك عليه"[1].

يظهر من خلال النص السابق ما اشتملت عليه عبارات عبد الحميد الكاتب البلاغية من حديث عن المجتمع، وما يرتبط ببعض جوانبه من خلال علاقات الأفراد مع بعضهم، وخصّ في ذلك الحديث عن علاقات أمير المؤمنين بأرحامه من الناس، وهو بذلك يشير إلى فئة اجتماعية هي أقرباء الإنسان، إذ يمثلون جزءاً من المجتمع، وقد أتى عبد الحميد الكاتب بهذا الحديث ضمن رسالته بما اشتملت عليه من مظاهر بلاغية للوصول إلى الغاية التداخلية بين علم الاجتماع من جهة، والبلاغة من جهة ثانية، وتقصير الحدود الفاصلة بين هذين العلمين، ليبلغ في نهاية المطاف مبلغه في إظهار هذا التماسك العلمي بين البلاغة وعلم الاجتماع، وحضور البينيّة ضمن هذا الإطار البلاغي.

ويقول عبد الحميد الكاتب كذلك: " وأنت عينُ أمير المؤمنين وجفنه، والناظرُ له، والجارُّ إليه، والمستميل لقلوب رعيته"[2].

يظهر التداخل بين علمي الاجتماع من جهة والبلاغة من جهة ثانية ضمن هذا النص التراسلي من عبد الحميد الكاتب في قوله: وأنت عين أمير المؤمنين، فقد شبه المخاطب بأنه عين لأمير المؤمنين، وهذا ما يجافي الحقيقة، غير أن الكاتب أراد أن

(1). عباس. عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 191.

(2). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 192.

يوصل للمتلقي فكرة مؤداها أنه بمثابة عين أمير المؤمنين في الناس من حوله، فكانت العبارة البلاغية هاهنا ذات قيمة اجتماعية بحتة، فالقصد من التشبيه إظهار المكانة التي يتمتع بها المتلقي كونه حاضراً على لسان أمير المؤمنين في رعيته، وصورة أخرى له في المجتمع من حوله، وبالتالي يظهر هذا التداخل بين علمي البلاغة من جهة وعلم الاجتماع من جهة ثانية، مما يؤطر لخطاب بلاغي جميل، وإبداع جمالي ضمن مكونات العبارة اللغوية البلاغية في هذه الرسالة.

ومن العلاقات الإنسانية التي أشار إليها عبد الحميد الكاتب في بعض رسائله ما يكون بين الحاجب والأمير، يقول في ذلك: " ثم إياك وأن يصل إليك أحد من جندك وجلسائك وخاصتك وبطانتك بمسألة يكشفها لك، أو حاجةَ يُبَدهُكَ بطلبها، حتى يرفعها قبل إلى كاتبك الذي أهْدَفْتَهُ لذلك ونصبتُه له، فيعرضها عليك مُنْهياً لها على وجهِ الصدق عنها، وتكون على معرفة من قدرها"[1].

يشتمل النص السابق من رسالة عبد الحميد الكاتب على مجموعة من العبارات البلاغية التي تضمنت موضوعاً اجتماعياً متمثلاً بما يقع بين الأمير وحاجبه، وأن على الحاجب أن يطلع على الحاجات المرفوعة للأمير قبل اطلاع الأمير عليها، وهذا من طبائع السلوك الإنساني، والمظاهر الاجتماعية التي يود الكاتب الإشارة إليها عند الأمير، إذ يترتب على اطلاع الحاجب على فحوى الحاجات قبل الأمير أن يكون على معرفة بها، فإذا رفضها الأمير كان الرفض كأنه من الحاجب نفسه، وبالتالي فإنه يكفي الأمير عناء الرد على صاحب الحاجة، ومن هنا فقد امتزج علم الاجتماع ببعض مظاهره بعلم البلاغة، وظهر من خلال هذا وذاك الحالة التداخلية التي من شأنها أن تمنح الكلام رونقاً جمالياً، وإبداعاً فنياً متماسكاً، تظهر من خلاله عناصر البينيّة، وفائدة علم الاجتماع في تحقيق أعلى مستوى من مستويات البلاغة، وتداخل العلوم لأجل الوصول إلى الفائدة المرجوة عبر هذا التداخل بين العلوم المختلفة.

ومن العلاقات الإنسانية كذلك طبيعة التعامل الحاصل بين كل فئة من فئات المجتمع، وكل طبقة من طبقاته، فلا شك أن هناك الخاصة، وهناك العامة، ولكل طبقة من هذه الطبقات خصوصيتها، وطريقة متميزة للتعامل معها، وهذا ما أورده عبد

(1). عباس. عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 226.

الحميد الكاتب في رسالة ينصح فيها الأمير أو الخليفة، وذلك في قوله: " قِسبين منازل أهل الفضل في الدين والحجى والرأي والعقل والتدبير والصيت في العامة، وبين منازل أهل النقص في طبقات الفضل وأحواله والجمود عنه مباهاةأهل الحسب، وانظر بصبحة أيَّهم تنالُمن مودته الجميل، وتستجمع لك أقاويل العامة على التفضيل، وتبلغ درجة المتصرفةِ بك،فاعتمد عليهم مستدخلاً لهم في امرك وآثرهم بمجالستك لهم مستمعاً منهم، وإياك وتضييعهم مفرّطاً وإهمالهم مضيَّعاً"[1].

لقد مثّلت الرسالة السابقة نوعاً من الخبرة الاجتماعية التي أراد الكاتب أن يقدمها للمخاطب، ونمطاً من طبيعة التعامل مع هذه الطبقات المختلفة، والمكونات المتباينة في المجتمع، انطلاقاً من كون هذا المجتمع فيه من العامة والخاصة، وكل فريق منهم يحتاج إلى خصوصية في التعامل.

ومن النماذج التي وردت عند عبد الحميد الكاتب ما جاء في قوله: "ليكن رحيلك أبّاناً واحداً ووقتاً معلوماً، لتخفَّ المؤونةُ بذلك على جُنْدِك، ويعلموا أوان رحيلهم، فيقدّموا فيما يريدون من معالجة أطعمتهم وأعلافِ دوابّهم، وتسكُنُ أفئدتهم إلى الوقت الذي وُقِفُوا عليه، ويطمئنُّ ذوو الرأي إلى إبان الرحيل"[2].

يتحدث الكاتب في هذا الجزء من الرسالة عن الرحيل، وعن طبيعته، وعن الكيفية التي يكون عليها، وما يتوجب على المرتحلين الأخذ به قبل مغادرة المكان، وما هذا الرحيل إلا مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية، والطبائع الإنسانية التي يعرفها البشر منذ القدم، فمن خلال الخبرة الاجتماعية لدى الكاتب استطاع أن يقدم هذه النصيحة للمتلقي، واستطاع أن يجعلها وسيلة للإرشاد في حال كونه أقدم على الرحيل، ناهيك إذا كان المخاطب قائداً من قوّاد الجند، أو أميراً من الأمراء، فإنه أحوج لمعرفة ذلك من غيره، وهذا كله امتزاج بين علم الاجتماع من جهة، والبلاغة من جهة أخرى، ليتحقق بذلك المقصود من هذه الرسالة، ويتماسك العلمان في إطار من الدلالة البليغة، والمعنى الرصين، فتأخذ الرسالة من البلاغة بسبب، ومن علم الاجتماع بسبب، فيتحقق

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 234.

(2). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 255.

بذلك قيمتها العظيمة، ومكانتها القويمة، وهو ما سعى الكاتب لإظهاره في إطار هذه الرسالة.

ويتحدث عبد الحميد الكاتب عن الدنيا وما فيها، وكيف أنها تفرق بين الناس والإخوان، فيقول: " فإن الله تعالى جعل الدنيا محفوفةً بالكره والسرور،وجعل فيها أقساماً مختلفةً بين أهلها، فمن دَرَّتْ له بحلاوتها، و ساعده الحظُّ فيها، سكن إليها ورضي بها وأقام عليها، ومن قَرَصَتْهُ بأظفارها وعضتَّهُ بأنيابها وتوطأَتْهُ بِثِقْلِها، وذمَّها ساخطاً عليها، وشكاها مستزيداً منها، وقد كانت أذاقتنا من حلاوتها، وأرضعتنا من دَرِّها أفاويق استحليناها ثم شَمَسَتْمنّا نافرة، وأعرضت عنا متنكرةً، ورمحتنا جامحةً، فملح عذبها وأمرَّ حُلْوُها، وخَشُنَ لينها، فمرَّقتنا عن الأوطان،وقَطعتنا عن الأخوان، فدارنا نازحةٌ وطَيْرنا بارحة، قد أخذت كلِّ ما أَعْطت، وتباعدت مثلما تَقَرَّبَتْ، وأعقبت بالراحةِ نصَباً، وبالجذلِ هَمّاً، وبالأمنِ خوفاً، وبالعزِّ ذلاً، وبالجِدَةِ حاجةً، وبالسّراءِ ضرَّاء، وبالحياةِ موتاً"[1].

يمثل النص السابق خبرة اجتماعية نابعة من معرفة وعلم لدى الكاتب، استطاع أن يوظفها ضمن إطار التركيب البلاغي المنوط بالدلالة والمعنى، فقد أفاد الكاتب من قدرته على المزج بين العلوم المختلفة، وإلغاء الحدود الفاصلة بين هذه العلوم، للوصول إلى مبتغاه من تحقيق الفائدة الجمة، والغاية العظمى من هذا التمازج والانسجام، والوقوف عند حدود المعنى والبيان المرتبط بسياق هذه العلوم، فلولا المعرفة المسبقة من قبل الكاتب ببعض الأحوال الاجتماعية، والدراية بما يجول هنا وهناك من أمور العلاقات الإنسانية لَما استطاع أن يوظف كل هذه المعاني في سبيل تشكيل البنية الدلالية والبلاغية لهذا الخطاب الأدبي البليغ المتمثل بالرسالة السابقة.

2.2.3:المظاهر الاجتماعية والعادات والتقاليد:

هناك مجموعة من العادات والتقاليد الشائعة بين الناس، والتي أفاد منها عبد الحميد الكاتب في حديثه ضمن رسائله المختلفة، ومن ذلك العادات المرتبطة باجتماع الناس،

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 279.

وما يحسن التصرف به في حضور العامة والخاصة، والحديث عن طريقة الناس في استقبال الآخرين في الكلام ونحوه، وغير ذلك من العادات والتقاليد المتنوعة.

يربط عبد الحميد الكاتب العادات الاجتماعية، والتقاليد الإنسانية، ومظاهر المجتمع المختلفة برسائله الفنية، ويركز اهتمامه كثيراً على هذه المكونات، وفيما يلي عرض لبعض تلك النماذج الفنية من رسائل عبد الحميد الكاتب.

ويقول عبد الحميد الكاتب كذلك في موضع آخر: " فألفى هنالك من حجيج الآفاق والأمصار جماعاتٍ لم يَرَ مثلها في الكثرة والعدد، ثم في الاجتهاد والاحتشاد لما شخصوا له من كلِّ فج، من بين مؤدٍ ما افترض الله عليه من حجة الاسلام، أو متقرّبٍ إلى الله بما يرجو من نافلة الأجر وفضيلة الذخر، وراغبٍ إلى الله فيما جعل في ذلك من تضعيف الحسناتِ وحط السيئات"[1].

تظهر الملامح البلاغية الإبداعية في هذه الرسالة الفنية، وتبدو مكوناتها بأجلى صورة، وأبهى حلة، يتفنن فيها الكاتب بما وهبه الله من دقائق البيان، وحسن الإتقان، غير أنّ هذه الصبغة البلاغية التي ظهرت واضحة المعالم، جلية الآثار أخذت من علم آخر يفترض بالمتلقي أنه يعرفه، ويحسن بالكاتب أن يتقنه، ألا وهو علم الاجتماع، فإنّ ما أتى به الكاتب من أوصاف لدقائق الأمور، وتوصيف لهيئات الناس ومظاهرهم إنّما أتى من فهمه للمجتمع من حوله، ودرايته بما يجري فيه، ومعرفته بكل معطياته.

لقد وظف الكاتب هذه المعرفة المسبقة في تشكيل فكرته عن المجتمع من حوله، ورفد المعاني البلاغية التي أوردها ضمن هذا السياق التراسلي، وصولاً بذلك كله إلى إطار جمالي يعتني فيه بالمكونات المتجاذبة من العلوم الأخرى، وهو ما جعله أكثر إبداعاً وإتقاناً لكيفية البلاغية التي يتناولها.

ومن ذلك ما جاء في قوله: "وأناتك فوقِّها الملال وفوت العمل، ومضاءتك فَدَرِّعها رؤيّة النظر واكنفها بأناة الحلم، وخلواتك فاحرسها من الغفلة واعتماد الراحة وصمتك فَانْفِ عنه عيّ اللفظ وخف فيه سوء القالة واستماعك فأرعه حسن التفهم وقوّه بإشهاد الفكر"[2].

---

(1). عباس. عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 205.

(2). عباس. عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 221.

لقد اشتمل النص على استعارة تمثلت بقوله: "وخلواتك فاحرسها من الغفلة"، فإن الخلوة لا تُحرس، ولا يُحرس إلا الشيء المادي الثمين، وهو ما جعله الكاتب من قبيل الاستعارة، فقد شبه الخلوة بالشيء الثمين، والغفلة بالسارق الذي يريد سرقته، غير أن هذه الاستعارة جاءت بثوب اجتماعي بحت، وذلك أنّ الإنسان يحرص على الاستفادة من أوقاته، خصوصاً خلواته، ويجب عليه ألا ينساق وراء الشخصيات السلبية في مجتمعه، ويبتعد عن أضرارهم، فهم بمثابة السارق الذي يسرق من الإنسان وقته وخلوته، فكانت هذه النصيحة التي قدمها الكاتب للمتلقي على سبيل الإشارة الاجتماعية للوصول إلى غايته البينيّة، ومزج علم البلاغة بما فيه من مظاهر البيان المختلفة، وأبرزها الاستعارة وسيلة لإضفاء الثوب الاجتماعي عليها، وهو ما شكل أنموذجاً حياً لمزج هذين العلمين معاً، ومنحهما هيئة بينيّة، تتلاشى فيها الحدود الفاصلة بين العلوم، وتظهر فيها جمال كل علم بما يمنحه للعلم الآخر من مظاهر المعرفة وحسن التجميل.

ويشير عبد الحميد الكاتب إلى بعض العادات الاجتماعية التي تُذم على الملوك، وربما ذُمت على العامة، فيقول: " منها: كثرة التنخُّم والتبصق والتنخُّح والتثاؤب والجُشاء والتمطي وتنقيض الأصابع وتحريكها، والعبث بالوجه وباللحية والشارب والمخصرة وذؤابة السيف، والإيماض بالنظر، والإشارة بالطَّرْفِ إلى أحد من خدمك بأمر إن أردته، والسّرار في مجلسك، والاستعجال في طعمك وشربك وليكن مَطْعَمُكَ متَّدِعاً، وشربُكَ أنفاساً، وَجَرْعُكَ مصّاً"[1].

أوضح النص السابق من رسالة عبد الحميد الكاتب عدداً من العادات والتصرفات التي يقوم بها الإنسان في إطار المجتمع، وأمام الناس، وهي مذمومة عليه، ويزداد ذمها وقبحها إذا كان فاعلها أميراً أو ملكاً، فجعل من هذه النصيحة المسداة للأمير والخليفة سبيلاً للخلاص منها، والابتعاد عنها.

ومن النماذج أيضاً ما يتعلق بالإخاء بين الناس، ومحبة الآخرين، وما اعتاد عليه الناس من هذه المحبة، يقول عبد الحميد الكاتب: "" فإن أولى ما اعتزم عليه ذوو الإخاء، وتواصل عليه أهل المودَّات، ما دعا أسبابه صدقُ التقوى، وبُنيت دعائمه على

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 232.

أساس البِرّ، ثم أسهَدَ البناء حريزُ التواصلُ، وشيدّه مستعذبُ العشرة، فادّعَم قوياً، وصفاً مُونقاً وأخلصته المقةُ مُنعطفة، وسكنتْ به القلوب أنيسةً، وسمتْ من مواصلته الهممُ مستعلية عن كل زائغ معتاق ومخُوف عارض يخترمُ مُسكة الإخاء، ويحتز مَرْبُوب المِقة، ضَناً بما استعذبوا من محمود وثائقه، وازدياداً فيما تمطقوا به من حلاوة جَناه"[1].

يشتمل النص السابق على حديث عن الأخوة، وكيفية التعامل مع الناس من حولنا، وما يتصف به الأخ الصديق عند عبد الحميد الكاتب، وما يتوجب على الإنسان الأخذ به في علاقته مع إخوانه ممن يحيط به، وهذا كله في إطار الحديث عن مظهر اجتماعي بحت، وملمح إنساني واضح المعالم، انطلاقاً من الطبيعة التي تناول من خلالها عبد الحميد الكاتب الموضوع، وربطه بعناصر الدلالة، وذلك في قالب بلاغي رصين، وهيكل دلالي متين، وهو ما منح الخطاب مزيداً من التماسك والانسجام، ومنح الكلام تركيباً متماسكاً، عبر تداخل العلوم، وأهمها علما الاجتماع والبلاغة ضمن هذا السياق.

3.2.3:الجوانب السياسية:

تعد السياسة من علم الاجتماع، فهي جزء من أجزائه التي تنظمه، وعنصر من عناصر تركيبه وبنائه، ولقد اهتم عبد الحميد الكاتب بإيراد بعض النماذج التي تتناول الجوانب السياسية في بعض عناصرها وأركانها، وفيما يلي ذكر لبعض تلك النماذج.

إذ نجد عبد الحميد الكاتب يتناول موضوعاً اجتماعياً سياسياً مرتبطاً بالخروج على الأمير، فيقول في ذلك: " ففي طاعة الأئمةِ في الإسلام، ومناصحتهم على أمورهم، والتسليم لما أَمروا به، مُهِمُّ كلِّ نعمةٍ فاضلة، وكرامة باقية، وعافية متخلّلة، وسلامةٍ ظاهرةٍ وباطنة، وقوة بإذن الله مانعة، وفي الخلافِ عليهم والمعصيةِ لهم ذهابُ كلِّ نعمة، وتفرُّقُ كلِّ كرامة وَمَحْقُ كلِّ غُنْيَة، وهلاكُ كلِّ سلامةٍ وألفة، وموتُ كلِّ عزِّ وقوة، والدعاءُ لكلِّ بلية، ومقارفة كلِّ ضلالة، واتّباعُ كلِّ جهالة، وإحياءُ كلِّ بدعة،

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 276.

وإماتةُ كلِّ سنّة، واجتلاب كلِّ ضرر على الأمة وإدبارُ كلّ منفعة، والعملُ بكلِّ جورٍ وباطل، وفناءُ كلِّ حقّ"[1].

لقد تضمن النص حديثاً عن بعض المظاهر الاجتماعية التي تشيع في المجتمعات، وهي الخروج على ولي الأمر، وخليفة المسلمين، فتحدث عما في هذه الظاهرة الاجتماعية من ضرر على الفرد والمجتمع، وأتى بهذا المعنى ضمن قالب بلاغي رصين، وعبارات لغوية بليغة، وهو ما منح هذه العبارات امتزاجاً واضحاً بين البلاغة من جهة، وعلم الاجتماع من جهة أخرى، وأظهر ذلك التباين بين هذين العلمين، فلولا معرفة كل من الكاتب والمتلقي بهذه الأمور الاجتماعية لما استطاعا من فهم طبيعة هذا المعنى، وتحقق هذه الدلالات في إطار العبارة البلاغية الجميلة، وبالتالي فقد تقاصرت الحدود بين هذين العلمين، وبدت مظاهر البينيّة جلية في تشكيل المعنى والدلالة المرتبطة، وتعمقت في جوهر هذه العلوم وكينونتها الداخلية، حتى وصل الأمر بالكاتب والمتلقي للإفادة من هذين العلمين بكل ما اشتملا عليه من فائدة.

ويقول كذلك: " تجرّرُ لهم أذيالها، وتعدهم تتابع لذاتها، حتى ترمي بهم في حَوْمات أمواجها مسامةً، تَعِدُهُمُ الكذب وتمنّيهم الخُدع، فإذا لزمهم عِضاضها، ونفر بهم شِماسها، تخلّت عنهم خاذلةً وترأت منهم مُعْرِضَةً عنهم"[2].

يتحدث عبد الحميد الكاتب في النص السابق عن الفتنة، وكيف أنها تخدع الناس، ولقد جاء كلامه ذاك ضمن إطار بلاغي تمثل بالاستعارة، فقد شبه الفتنة بالإنسان الذي يعد الآخرين ويخلفهم الوعد، وشبهها بأنها تمنيهم وتخدعهم، وغير ذلك من التشبيهات التي وردت في كلامه السابق، وهذا كله على سبيل الاستعارة، إذ إن الفتنة ليس لها عقل كعقل الإنسان حتى تعد الناس، وتمنيهم، وحتى يصدر منها كل ذلك، بل الحقيقة أنّ ما جاء في هذا النص إنما هو على سبيل الاستعارة، ومن طريق المجاز، وكانت الغاية من هذه الاستعارة إيصال هذه الأفكار للناس، وإفهامهم ذلك الضرر المترتب عليهم إذا اتبعوا سبيل الفتنة، وسلكوا طريقها، بمعنى أن الهدف والغاية من هذه الاستعارة هدف اجتماعي بحت، وغاية اجتماعية حقيقية، وهو ما استطاع الكاتب

---

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 209 – 210.

(2). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 214.

أن يتوصل إليه عبر مكونات الصورة البلاغية التي استوحى مكوناتها وعناصرها من واقع المجتمع الذي يعيش فيه، فتمكن من الإفادة من معرفته المسبقة، وتوظيف تلك المعرفة في سبيل الوصول إلى هذا الخطاب الجمالي الإبداعي.

ولا يغفل عبد الحميد الكاتب في بعض رسائله أن يتحدث عن البطانة التي تحيط بالأمير أو الخليفة، فقال في بعض رسائله: " ثم لتكن بطانتك وجلساؤك في خلواتك، ودخلاؤك في سِرَك أهل الفقه والورع من خاصة أهل بيتك، وعامَّة قوّادك ممَّنْ قد حنكته السّن بتصاريف الأمور، وخبطته فِصالها بين فراسِن البزّل، وقلّبته الأمورُ في فنونها وركب أطوارها عارفاً بمحاسن الأمور، ومواضع الرأي (وعين المشورة)، مأمون النصيحة، مطويَّ الضمير على الطاعة"[1].

يتناول النص السابق الحديث عن البطانة المحيطة بالخليفة أو الأمير، وما لها وما عليها من تأثير فيه، وما يجب أن تكون عليه باختياره هو، إذ أتى عبد الحميد الكاتب ببعض الصفات التي يجب أن تتصف بها تلك البطانة، وذلك في قالب بلاغي جميل، فيه من الرصانة والإبداع البلاغي ما فيه، حتى وصل به إلى هذا الحد من الجمال اللغوي البلاغي، وذلك عبر امتزاج البلاغة بعلم السياسة، وما يشتمل عليه من معانٍ ترتبط بجوانب سياسية مختلفة، مع الأخذ بعين الاعتبار ذلك الارتباط بين السياسة وعلم الاجتماع، باعتباره جزءاً منه، وهذا الترابط بين هذه العلوم من شأنه أن يمنح العبارة جمالاً وإبداعاً وتميزاً، وإن تداخل هذه العلوم مع بعضها يفضي إلى تعبير بلاغي أكثر تأثيراً وأنسب معنى، وهو ما يسعى الكاتب للوصول إليه.

وفي موضع آخر يقول عبد الحميد الكاتب: " ثم اصمد بعدوك المتسمي بالإسلام،الخارج من جماعة أهله، المنتحل ولاية الدين، مستحلاً لدماء أوليائه، طاعناً عليهم، راغباً عن سنتهم، مفارقاً لشرائعهم،يبغيهم الغوائل، وينصب لهم المكايد، أضرم حقداً عليهم، وارصد عداوة لهم، (واطلب لغرَّات فُرصهم) من التُّرك وأمم الشرك وطواغي الملل، يدعو إلى المعصية والفرقة، والمروق من الدين إلى الفتنة، مخترعاً بهواه إلى للأديان المنتحلة، والبدع المتفرقة، خساراً وتخسيراً وضلالاً وتضليلاً، بغير

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 222.

هدى من الله ولا بيان، ساء ما كسبت يداه وما الله بظلام للعبيد، وبئسما سولت له نفسه الأمارة بالسوء، والله من ورائه بالمرصاد (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)"[1].

يتحدث الكاتب في هذه الرسالة التي وجهها للأمير إلى أولئك الجماعة الذين يتخفون بالدين، ويدعون الإسلام، وما هم إلا من الخوارج، فيبين للمتلقي أن عليه أن يصبر عليهم، وأن يبقى في دوام المتابعة لهم، وذلك كي يتمكن منهم، وفي هذا الخطاب مظهر سياسي مرتبط بأولئك الجماعة الخارجة على سياسة الدولة من جهة، والمدعية بالانتماء للإسلام من جهة ثانية، وما هي في الحقيقة إلا خارجة على الدين، متخفية به، متربصة بأهله، وهو ما أوحى به الكاتب من خلال هذه الرسالة، وأدار فكرته في غلاف من البلاغة الحقيقية الرصينة، والأسلوب البلاغي الجميل، وما هذا إلا امتزاج بين علمي البلاغة والاجتماع بفرعه المرتبط بالسياسة، والقصد من هذا التداخل الوصول إلى أقصى قدر ممكن من الغاية الفنية الإبداعية، والوقوف عند حدود التداخل بين هذه العلوم، وإتاحة الفرصة للمتلقي بأن يكون قادراً على التعمق في تشكيل بنية هذا الخطاب، وتحقيق قيمته الفنية البلاغية.

ويقول عبد الحميد الكاتب في موضع آخر: " ثم أَذْكِ عيونك إلى عدوّك، متطلعاً لعلم أحوالهم التي يتقَّلبون فيها، ومنازلهم التي هم بها، ومطامعهم التي قد مَدُّوا أعناقهم نحوها، وأي الأمور أدعى لهم إلى الصلح، وأقودُها لرضاهم إلى العافية (وأسهلها لاستنزال طاعتهم"[2].

يخاطب عبد الحميد الكاتب في هذا الجزء من الرسالة الأمير الذي له ولاية العهد، ويبين له بعض ما يكون من موقفه إزاء عدوه، إذ عليه أن يذكي فيهم العيون، ويقصد بهم الجواسيس الذين يأتونه بالأخبار، ولا يكون القصد من هذه الأخبار دوماً تسهيل الانقضاض على العدو، بل قد يُقصد منها تسهيل الاصطلاح معهم، ودفعهم إلى المسالمة، وهذا ما قد يصل إليه الأمير بمجرد أن يشيع العيون في أعدائه، وهذا النصح الذي أسداه عبد الحميد الكاتب للمتلقي – الأمير – إنما تناول فيه موضوعاً سياسياً، يرتبط بعلاقة الأمير بمن حوله من الأعداء، وكيفية التعامل معهم، والوصول

(1). عباس. عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 235 – 236.

(2). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 239.

إلى الغاية بتحقيق الظفر عليهم، فمزج الكاتب أسلوبه البلاغي الرصين، بهذا الموضوع السياسي المرتبط بعلم السياسة والاجتماع، واستطاع تحقيق الغاية الدلالية المنوطة بهذين العلمين معاً، والوصول إلى المعنى المقصود عبر هذه المظاهر الفنية الإبداعية، وهو ما تسعى البينيّة للكشف عنه، وإلغاء الحدود الفاصلة بين العلوم المختلفة، لتحقيق هذه الغاية.

ومن ذلك أيضاً ما جاء في رسالة لعبد الحميد الكاتب في التحذير من معرفة العيون لبعضهم بعضاً، يقول: " واحذر ان يعرف بعضُ عيونك بعضاً، فإنك لا تأمنُ تواطُؤَهُمْ عليك، ومما لأتهم عدوَّك، واجتماعَهُمْ على غِشّك(وتطابُقَهُمْ على) كذبك،وإصفاقهم على خيانتك،وأن يورِّطَ بعضهم بعضاً عند عدوّك، فأَحكم أمرهم فإنهم رأسُ مكيدتك، وقوام تدبيرك، وعليهم مدار حربك وهو أولُ ظفرك"[1].

جاءت هذه الرسالة في التحذير من معرفة العيون لبعضهم بعضاً، والوقوف عند حدود معينة في إذكاء هؤلاء العيون؛ لأنه إذا عرف بعضهم بعضاً لربما أفضى ذلك إلى فساد في مصلحة الجماعة، وهذا الكلام الذي أتى به عبد الحميد الكاتب في رسالته إنما ينتمي للفكر السياسي، النابع من علم الاجتماع، انطلاقاً من وصيته بالطريقة المناسبة التي يكون عليها إذكاء العيون، والكيفية الصحيحة التي تكون في سبيل تحقيق الغاية المرجوة منهم، وذلك في قالب بلاغي رصين، واضح التركيب البليغ، والألفاظ الفصيحة، إذ يعتمد عبد الحميد الكاتب في رسالته على خطاب بليغ، حسن الألفاظ والتراكيب والمعاني، ممزوجاً بعلم الاجتماع المرتبط بالسياسة، وقد أجاد في هذا التركيب والمزج، ليصل في نهاية المطاف إلى فحوى البينيّة التي تستفيد من سائر العلوم.

ويقول عبد الحميد الكاتب كذلك: " ثم تقدَّمْ في طلائعك، فإنها أولُ مكيدتك، ورأسُ حربك، ودعامة أمرك، فانتخب لها من كل قادة وصحابة رجالاً ذوي نجدة وبأس، وصرامة وخبرة، حماةً كُفاةً"[2].

---

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى وما تبقى من رسائله، ص: 243.

(2). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 246.

يأتي هذا النص في مخاطبة ولي العهد بالكيفية التي يكون عليها التعامل مع الجيش، والطريقة المثلى للتقدم في الحرب، وكيفية تولية القادة، وما هذه العناصر إلا من صلب السياسات العامة العسكرية التي يعرفها أهل السياسة، ويدربون عليها نفوسهم، ويجعلونها من مظاهر قوتهم، فالحديث عن الجيش من قبيل السياسة، والكلام عن طبيعة القادة من صلب السياسة أيضاً، وهو ما يحتاجه المتلقي، فأدخله عبد الحميد بن يحيى في هذا السياق، وذلك ضمن إطار بلاغي رصين، جميل التركيب، حسن الدلالة، يحتاجه المتلقي، فاستطاع أن يحقق المقصود منه، ويعي المطلوب، فكان امتزاج البلاغة بموضوعات السياسة من بين القضايا البينيّة التي أسهمت في تحقيق الغاية والهدف من هذه الرسالة، وإبانة المطلوب منها على وجه الدقة والإفصاح، وهو ما أبدع به عبد الحميد الكاتب، واستطاع أن يوظف العلوم بشتى مظاهرها للوصول إلى هذه الغاية والمعنى.

ويتابع عبد الحميد الكاتب ذكر أمور الجيش، وقضايا الجند في رسالته التي يقدمها للأمير فيقول: " واعلم أن الطلائع عيون وحصون للمسلمين، هم أولُ مكيدتكَ، وعروة أمرك، وزمامُ حربك، فليكن اعتناؤُكَ بهم (وإنشاؤك إياهم) بحيث هم من مُهِمِّ عملك، ومكيدة حربك"[1].

يتحدث الكاتب في هذا الجزء من الرسالة عن الطلائع التي تتقدم الجيش، ويبين للمتلقي قيمتها وأهميتها، ويذكر ما فيها من فائدة للمسلمين، وهذا الحديث عن الطلائع إنما جاء من قبيل علم السياسة، والمعرفة بأمور الحياة، وشؤون الرعية، وانطلاقاً من هذا كله فقد أجاد عبد الحميد الكاتب في توصيف ما يجب على الأمير الأخذ به في إقباله على العدو، خصوصاً في جانب طلائع ذلك الجيش، وقد جاء هذا الكلام ضمن أطر بلاغية فصيحة رصينة، فالبداية عند الكاتب ذكر فيها أن الطلائع حصون وعيون للمسلمين، وما هذا إلا تشبيه بليغ، والقصد من هذا التشبيه الوقوف على سياسة الأمر، وتحقيق القيمة الاجتماعية السياسية المرتبطة بطلائع الجيوش كما تحدث عنها الكاتب.

(1). عباس. عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 248.

وفي موضع آخر يقول عبد الحميد الكاتب: " ثم اعْرِضْهُمُ رأي عَيْنَ على كُراعهم وأسلحتهم، ولتكن دوابّهم إناث عتاق الخيول، وأسلحتُهُمُ سوابغ الدروع، وكمالَ آلةِ المحارب، متقلّدين سيوفَهُم المستخلصة من جيّد الجواهر وصافي الحديد، المتخيرة من معادن الأجناس: هنديةَ الحديدِ، يمانية الطَّبْع، رقاقَ المضارب، مسمومة الشحذ، مُشَطَّبَةَ الضَّريبة، ملبدين بالتّرسة الفارسية، صينية التعقيب، مُعَلِمَةَ المقابض بحلقِ الحديدِ، أنحاؤها مُرَبَّعَةٌ"[1].

يشتمل النص السابق على وصف للجنود، ووصف للأسلحة التي يأخذها هؤلاء الجند، وهو وصف دقيق مباشر، يوظفه المتلقي – الأمير – توظيفاً دقيقاً عند اختياره للجند ولأسلحتهم، وفي ذلك نمط من السياسة العسكرية التي يحتاجها هذا الأمير.

ومما جاء أيضاً في الجوانب السياسية ما اشتملت عليه رسالة لعبد الحميد جاء فيها: "" حتى اعتراني حنادسُ جَهالة، ومهاوي سُبُل ضلالة، ذلَّلا لسياقه، وسلَّماني قياده إلى نُزُل من حميم، وتصلية جحيم، سوى ما أنتجت الحفيظة، في نفسه من عوائد الحسك، وقدحت الفتنة في قلبه من نار الغضب، مضادّة لله تعالى بالمناصبة ومبارزة لأمير المؤمنين بالمحاربة ومجاهدة للمسلمين بالمخالفة، إلى أن أصبح بفلاة قفرٍ، وتيهٍ صفرٍ ، بعيدة المناط، يُقطع دونها النِّياط، وكذلك يفعل الله بالظالمين ويستدرجهم من حيث لا يعلمون""[2].

تشتمل الرسالة السابقة لعبد الحميد الكاتب على ذكر لأهل الفتن، وما ترتب عليهم من خروج على أمير المؤمنين، والابتعاد عن جادة الخلافة، وما هذا إلا سبيل للهلاك وضياع الرأي، وقد مزج الكاتب بين معرفته بعلوم السياسة من جهة، وعلمه بالبلاغة من جهة ثانية، الأمر الذي أوجد بين يديه نصاً بلاغياً جميلاً، يأخذ من هذين العلمين بطرف، ومن هذين الفنين بجهة، فقد جعل الكاتب من هذا المزج وسيلة للوصول إلى مبتغاه من تحقيق الفائدة الدلالية، والقيمة المعنوية التي تترتب على هذا التداخل بين العلوم، وهو ما تسعى البينيّة لإظهاره والكشف عنه ضمن إطار السياقات البلاغية المختلفة.

---

(1). عباس. عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 261.

(2). المرجع السابق، ص: 280.

وفي نهاية هذا الجزء من الدراسة يتبين أن علم الاجتماع واحد من العلوم التي تتداخل مع علم البلاغة، ويتمكن الكاتب عبره من الولوج إلى الخطاب البلاغي الرصين المرتبط بمكونات المجتمع من حوله، ومكونات العلوم المختلفة، وهو كله عبر اندماج الثقافات، وتداخل العلوم المتنوعة ببعضها، فقد أفاد علم البلاغة من علم الاجتماع وذلك لما يقدمه من حديث عن العلاقات الإنسانية المختلفة، والدور الذي تلعبه العادات والتقاليد في هذه العلاقات، والمظاهر السياسية المتنوعة التي تدخل في إطار التشكيل البلاغي للخطاب اللغوي، كل هذه العناصر أسهمت إسهاماً حقيقياً في التعمق في نظرة الكاتب إلى الأمور الاجتماعية، وامتزاج علم الاجتماع بعلم البلاغة بما يحقق البينيّة البلاغية المنشودة، وبما يكفل للخطاب تداخلاً بينياً يسهم في تحقيق الغاية الدلالية والمعنوية في إطار هذا التركيب، ويمنح النص مزيداً من الجمال والإبداع والتميز.

الخاتمة

وختاماً لا بد من إيراد مجموعة من النتائج التي توصلت إليها الدراسة من خلال العرض والتحليل والتفسير والتطبيق، وهي كما يلي:

أولاً – تناول النقاد والبلاغيون القدماء طرفاً من البينيّة ضمن مظاهر البلاغة المختلفة، وخلال حديثهم عن علومها المتعددة، كما وقع ذلك في علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع، فالإفادة من العلوم المختلفة من شأنه أن يمنح الخطاب قوة تأثيرية في المتلقي، وأن يجعله مستوعباً لعناصر هذا الخطاب بكل تفاصيلها، وبالتالي تزداد الفائدة من النصوص، وتتحقق الغايات عبر ربطها بتلك العلوم على اختلافها وتنوعها، وهو ما تسعى البينيّة لإظهاره، وجعله عنصراً بحثياً مهماً في إطار هذا العلم، وتلك الإشارات التي وردت عند نقادنا القدماء واضحة الدلالة على ما تتناوله البينيّة في العصر الحديث، غير أن المسميات اختلفت، والفكرة اتضحت أكثر في البينيّة الحديثة، مع التأكيد على حضور فكرتها ولو بصورة جزئية عند علمائنا القدماء.

ثانياً – تنبه النقاد المعاصرون، والدارسون المحدثون لفكرة البينيّة، واهتموا بمعطياتها ومنجزاتها، وأجروا بعض الدراسات المتخصصة لها؛ قاصدين بذلك الوصول إلى بغيتهم في تطوير العلم وبناء المعرفة، والتعمق في جوهر المعلومة اللُّغوية والأدبية، بهدف تقصير المسافات الفاصلة بين هذه العلوم المتنوعة.

ثالثاً – وظف عبد الحميد الكاتب معطيات علم النحو في ميدان الخبر؛ إذ إن استعمال المؤكدات اللفظية كان له الأثر الأكبر في توكيد المعنى للمخاطب، وهو ما منح العبارات الإخبارية دلالة أعمق، ومعنى أبيَن بالنسبة للمتلقي، وبالتالي فقد امتزج علم النحو بالبلاغة العربية، وكان له تأثيره المباشر في تشكيل بنيتها خصوصاً في علم المعاني، إذ إن معرفة الكاتب والمتلقي على حد سواء بعلم النحو فتح الباب أمامهما لفهم طبيعة التركيب البلاغي للكلام.

رابعاً – يرتبط الإنشاء – ضمن إطار البلاغة العربية– ارتباطاً وثيقاً بالنحو العربي، وما الأساليب النحوية، والأساليب الإنشائية إلا جزء لا يتجزأ من كيان النحو العربي، ومعرفة الكاتب والمتلقي بأساليب الأمر والتحذير وغيرها من الأساليب اللغوية الأخرى

وسيلة لإظهار بلاغة القول، وفصاحة الخطاب، وإن تداخل هذه العلوم معاً يفضي إلى قيمة بينيّة إيجابية للوصول إلى الهدف المقصود من الخطاب الأدبي.

خامساً – تأخذ البلاغة العربية بعدد من المظاهر الصرفية لتشكيل المعاني، وإظهار الدلالات، ويظهر ذلك من خلال معاني الزيادات التي تطرأ على الكلمات، ومن خلال عناصر الاشتقاق ودلالاتها في سياق الكلام، وتوالي المشتقات أو الصفات، واستعمال أساليب التفضيل المختلفة، فكل هذه المظاهر الصرفية تسهم إسهاماً مباشراً في تحقيق المعنى المرتبط بسياق الكلام، وتوضيح الدلالة المتماسكة والمنسجمة مع الخطاب البلاغي، وإن المعرفة بعلم الصرف تفضي إلى نتائج إيجابية في فهم العلاقة بينه وبين علم البلاغة، ضمن إطار البينيّة البلاغية.

سادساً – بدا من خلال النماذج النصية التي قدمتها الدراسة أن علم الأصوات قريب جداً من علوم البلاغة، وهو متداخل معها خصوصاً في جانب التحسينات البديعية، وذلك لما للبديع من أهمية في البلاغة العربية، على اعتبار أنه يشكل جزءاً من المظهر التزييني للكلام، وإن امتزاج البلاغة بعلم الأصوات يمنحها نمطاً صوتياً إيقاعياً شبيهاً بما يجري في الشعر، فيكون لذلك الأثر الأكبر في بناء المعنى، وتشكيل الدلالة، والتأثير في المتلقي اعتماداً على إحساسه بالقيمة الموسيقية المرتبطة بهذه الأصوات.

سابعاً – لقد امتزج علم النفس بعلم البلاغة انطلاقاً من القيمة المضافة لسياق الكلام اللغوي، واعتماداً على ما تناوله عبد الحميد الكاتب من إشارات نفسية ضمن سياقاته البلاغية، وما تخرج إليه مظاهر البيان المختلفة، وحديث الكاتب عن الأثر النفسي المترتب على بعض الأمور والتصرفات، هذا علاوة على الحديث عن السلوك الإنساني، وما يربطه بواقع الحياة، كل ذلك ضمن قالب بلاغي ألحّ الكاتب فيه على تحقيق أقصى درجات البيان والإبداع المرتبط بعناصر المعنى والدلالة، والمتماسك ضمن علاقة تداخلية بين علم النفس من جهة، وعلم البلاغة من جهة ثانية.

ثامناً – يظهر أن علم الاجتماع لصيق بعلم البلاغة العربية، وذلك لما يقدمه من حديث عن العلاقات الإنسانية المختلفة، والدور الذي تلعبه العادات والتقاليد في هذه العلاقات، والمظاهر السياسية المتنوعة التي تدخل في إطار التشكيل البلاغي للخطاب

اللُّغوي، كل هذه العناصر أسهمت إسهاماً حقيقياً في التعمق في نظرة الكاتب إلى الأمور الاجتماعية، وامتزاج علم الاجتماع بعلم البلاغة بما يحقق البينيّة البلاغية المنشودة، وبما يكفل للخطاب تداخلاً بينياً يسهم في تحقيق الغاية الدلالية والمعنوية في إطار هذا التركيب، ويمنح النص مزيداً من الجمال والإبداع والتميز.

قائمة المصادر والمراجع

ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد (د.ت). **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة/ مصر، الطبعة الأولى.**

ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل (د.ت). **الأصول في النحو**، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت . لبنان.

ابن العديم، عمر بن أحمد (د.ت). **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق/ سوريا، الطبعة الأولى.

ابن جعفر، قدامة (1302هـ). **نقد الشعر**، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، الطبعة الأولى.

ابن جني، أبو الفتح عثمان (د.ت). **اللمع في العربية**، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت.

ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد (1994م). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى.

ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد (1404هـ). **العقد الفريد**، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد (1979م). **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة/ مصر، الطبعة الأولى.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (1423هـ). **الشعر والشعراء**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الحديث، القاهرة/ مصر.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، **أدب الكاتب**، شرحه: الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (1414هـ). **لسان العرب**، دار صادر، بيروت/ لبنان، الطبعة الثالثة.

ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن علي (2001م). **شرح المفصل**، قدم له، الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى.

أبو حطب، آمال صادق (1998م). **نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة/ مصر، الطبعة الرابعة.**

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (2001م). **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى.

بشر، كمال (د.ت). **دراسات في علم اللغة**، دار غريب للطباعة والنشر، عمان . الأردن، الطبعة الأولى.

بنخود، نور الدين (د.ت). **دليل الدراسات البينيّة العربية في اللغة والأدب والإنسانيات**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مركز دراسات اللغة العربية ودراساتها.

البياتي، ظاهر شوكت (2005م). **أدوات الإعراب**، مجد المؤسسة الجامعية للنشر والإعلام، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (1423هـ). **البيان والتبيين**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار ومكتبة الهلال، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(1998)، **البيان والتبيين**، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة السابعة.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (1992م). **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة المدني، القاهرة . مصر، ودار المدني، جدة . السعودية، الطبعة الثالثة.

حسان، تمام (2006م). **اللغة العربية معناها ومبناها**، دار عالم الكتب، بيروت . لبنان، الطبعة الخامسة.

حسن، عباس (د.ت). **النحو الوافي**، دار المعارف، القاهرة/ مصر، الطبعة الخامسة عشرة.

حسن، كاظم جهاد (2013م). في البينيّة نشأتها ودلالتها، **مجلة جامعة الملك سعود**، المجلد: 25، العدد: 2.

الحسيني، يحيى بن حمزة(1423هـ). **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، المكتبة العنصرية، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى.

الحطيئة، أبو مليكه جرول (د.ت). **ديوان الحطيئة، بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني**، تحقيق: نعمان أمين طه، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة . مصر، الطبعة الأولى.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (1417هـ). **تاريخ بغداد وذيوله**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى.

الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد (1982م). **سر الفصاحة**، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنا،، الطبعة الأولى.

الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين (1985م). **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى.

ربيع، محمد محمود (1987م). **مناهج البحث في العلوم السياسية، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الثانية.**

رشاد، مجدي محمود (2016م). **البينيّة النحوية العقائدية في القرآن، مجلة الدراسات الشرقية، جمعية** خرجي أقسام اللغات الشرقية في الجامعات المصرية، القاهرة/ مصر.

الزركلي، خير الدين بن محمود(2002م). **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت/ لبنان، الطبعة الخامسة عشرة.

السامرائي، فاضل صالح (2000م). **معاني النحو**، دار الفكر، عمان/ الأردن، الطبعة الأولى.

السبكي، أبو حامد أحمد بن علي (2003م). **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى.**

السعران، محمود (1997م). **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**، دار الفكر العربي، القاهرة . مصر، الطبعة الثانية.

السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر (1987م). **مفتاح العلوم**، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، الطبعة الثانية.

ضيف، شوقي. **البلاغة تطور وتاريخ**، دار المعارف، القاهرة، الطبعة التاسعة.

عباس، إحسان (1988م). **عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم بن أبي العلاء**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان/ الأردن، الطبعة الأولى.

عبد الوهاب، مجدي محمود رشاد (2016م). **البينيّة** البديعية، رابطة الأدب الحديث.

عمر، أحمد مختار (2008م). **معجم اللغة العربية المعاصرة**، بمساعدة فريق عمل، دار عالم الكتب، القاهرة/ مصر، الطبعة الأولى.

العمري، محمد بن حسن بن سعيد (2013م). البينيّة في الاستثناء قطعاً ووصلاً وأثرها في التأويل، **مجلة الدراسات اللغوية**، المجلد: 15، العدد: 4، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد (1969م). **الإيضاح العضدي**، تحقيق: حسن شاذلي فرهود، الرياض/ السعودية، الطبعة الأولى.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد (د.ت). **العين**، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى.

القادوسي، عبد الرزاق بن حمودة (2010م). **أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجاً**، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة حلوان، مصر.

قاسم، محمد أحمد، وديب، محيي الدين (2003م). **علوم البلاغة: البديع والبيان والمعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب**، طرابلس/ لبنان، الطبعة الأولى.

القرطاجني، أبي الحسن حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء (2008)، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثالثة.

القزويني، أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن (د.ت). **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت/ لبنان، الطبعة الثالثة.

القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق (1981م). **العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت/ لبنان، الطبعة الخامسة.

كرم، يوسف بطرس (د.ت). **تاريخ الفلسفة الحديثة**، مكتبة الدراسات الفلسفية، الطبعة الخامسة.

الكرماني، محمد بن يوسف(1425هـ). **تحقيق الفوائد الغياثية**، تحقي: علي العوفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة – السعودية، الطبعة الأولى.

ليونز، جون (د.ت). **اللغة وعلم اللغة**، دار النهضة العربية، القاهرة . مصر، الطبعة الأولى.

المرادي، أبو محمد حسن بن قاسم (1993م). **الجنى الداني في حروف المعاني**، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى.

مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، الدراسات البينية، جامعة الأميرة نور بنت عبدالرحمن،(2017).

مكاكي، محمد (2021)، الدراسات البينية: المفهوم والأصول المعرفية، **مجلة جسور المعرفة**، المجلد السابع، العدد الخامس.

الملائكة، نازك صادق(د.ت). **قضايا الشعر المعاصر**، دار العلم للملايين، بيروت/ لبنان، الطبعة الخامسة.

الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى (د.ت). **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ضبط وتوثيق وتدقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى.

المعلومات الشخصية

الاسم: محمد صالح عطية السعود

التخصص: الدكتوراه في الأدب والنقد

الكلية: الآداب

سنة التخرج: 2023